دلالات النفي بـ(ليس منا)
في متون السنة النبوية
دراسة سياقية

إعـــــــداد

دكتورة/ أمل عبد الفتاح أحمد محمد

أستاذ أصول اللغة المساعد

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

عنوان البحث

دلالات النفي بـــ(ليس منا) في متون السنة النبوية (دراسة سياقية)

الباحثة: أمل عبد الفتاح أحمد محمد

قســـــم: اللغة العربية ، **كلية:** البنات الإسلامية بأسيوط

الجامعة: الأزهر ، **المدينة:** أسيوط ، **الدولة:** جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: .Amlmohammed1376.el@azhar.edu.eg

(ملخص البحث)

يدور موضوع البحث حول: دلالات النفي بـــ(ليس منا في متون السنة النبوية: دراسة سياقية)؛ من أجل الكشف عن الدلالات اللغوية المتعددة لتركيب (ليس منا)، ومن ثمَّ استنباط جماليات تلك الأحاديث للدلائل من خلال إجـــراء الدراسة التحليلية السياقية على أحاديث نبوية متنوعة فيما بينها، وقد تمَّ ذلـــك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة في ستة مباحث للبحـــث، تـــمَّ تناول كل مبحث من مفهوم المعالجة اللغوية للكلمـــة الواحـــدة (لـــيس منـــا) وتأثيراتها في الخطاب النبوي، ثم الوقوف على دراســـة المـــدلول الســـياقي ومقاماته من حيث: الدلالة الدينيـــة، والنفســـية، والاجتماعيـــة والحضـــارية، والفكرية.

وتتمثل أبرز نتائج دراسة هذا الموضوع أن (أحاديث ليس منا): وجـــه من وجوه التأثير القوي في المخاطبين، بل ومن أعظمها أثرًا أن عمَّت تأثيراته العالم بأسره، وقد ساهم تركيب (ليس منا) في الارتقاء بدلالة الخطاب النبوي إلى أعلى مستويات التأثير البشري، باشتماله على دلالات متعددة ومتنوعة.

الكلمات المفتاحية: دلالات ــ ليس منا ــ سياقية

The indications of the Negation Formula "Not from us" in the board of Esunah Anabaweah, A Contextual Study

Aml Abd-Elftah Ahmed Muhammed

Department of Arabic Language, Assuit Islamic College for Girls, El-Azher University, Assuit, Egypt

E-mail: Amlmohammed1376.el@azhar.edu.eg.

Abstract

The subject of the research deals with "The indications of the negation formula "Not from us" in the board of Esunah Anabaweah, a contextual Study", it aims to reveal the numerous linguistic indications of the structure; 'Not from us" (Lise me'na).Thus, in the research, the eloquence hints of the Prophet's Sayings are extrapolated through the analytic contextual study dealing with various collections of the Prophet Sayings. This has been achieved through using the analytic descriptive design in six chapters. Each chapter deals with the concept of the Linguistic analysis of each structure; "Not from us" reflecting its effect in the Prophet's speech. Then it focuses the study of the contextual significance and its types concerning the religious, the psychological, the social, the civilized and the intellectual indications. The most prominent result of the study of this

subject is that the Prophet' sayings that utilize the structure; "Not from us" is one of the greatest effective eloquence on the listeners and at the same time it is the most influential that spread its effect on the whole world. Also the structure; "Not from us" contributes to the rise of the significance of the Prophet's speech to the most effective level on mankind including so many various indications.

Key words: Indications, 'Not from Us' (Lise me'na), Contextual

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أبدع كل شيء فأحسنه، وأرسل رسوله محمدًا ﷺ بدين الإسلام فأداه وبيّنه، واختار له من الأصحاب والأتباع من نهضواْ بنقله وتبليغه وحفظه وتدوينه.

وبعد

فمما لاشك فيه أن شرف العلوم يتفاوت بشرف مدلولها، وقدرها يعظم بعظم محصولها، ولا خلاف عند ذوي البصائر أن أجلَّها ما كانت الفائدة فيه أعم، والنفع فيه أتم، والسعادة باقتنائه آدم، ومما لا يماري فيه المرء ويرتاب أن علم الوحيين (الكتاب الكريم والسنة النبوية) من هذا الباب؛ لأنهما أصل الشريعة الذي إليه انتماؤها وأساس علومها.

وإذا تقرر أن شرعنا مبني على الكتاب المجيد والسنن المنقولة، فإنه لا يخفي على ممارس لذي الأصلين أن أكثر الكتاب الكريم كليات مجملات، وبيانها في السنن المرويات التي هي مدار أكثر الأحكام، ولهذه المنزلة العظيمة التي تتبوؤها السنة النبوية كانت ــ ولا تزال ــ محل عناية كبيرة من علماء المسلمين عمومًا والمحدِّثين خصوصًا، ثم إن عناية المحدِّثين ــ رحمهم الله ــ لم تكن قاصرة على حفظ النصوص النبوية ــ وهي لبُ السنة وقوامها ــ فحسب، بل تعداه إلى حفظ كل ما من شأنه أن يقود إلى استيعاب دقيق وفهم سليم لتلك النصوص من الأقوال والأحوال والملابسات والقرائن حفظًا موازيًا لحفظ النصوص ذاتها، وباستيعاب للأمارات والقرائن والملابسات وإدراك لواقع التشريع من تقدير الزمان والمكان وأحوال الناس وأعرافهم، فإن فهم النصوص فهمًا صحيحًا يؤدي إلى ضبط التصور، وبالتالي صحة العمل، وإن عدم الفهم الصحيح يؤدي إلى أخطاء في التقدير والتطبيق.

وفي ضبط هذه العناصر استعمل العلماء قواعد مختلفة واصطلاحات متنوعة تشترك كلها في أصل واحد وهو الالتفات إلى خارج النص والتماس عناصر تفيد في فهم معناه، وأشهر هذه القواعد التي تناولها العلماء قاعدة اعتبار السياق للدقة في التعبير عن هذه العناصر، فالسياق يشكل منهجًا رئيسًا للوصول إلى دراسة المعنى وتحديده، واستخراج قدرات النص على استيعاب الواقع، ومن هذا المنطلق كان الاهتمام بالسياق باعتباره منهجًا من مناهج الكشف عن معاني النص، وأداة من الأدوات التي تسهم في تجلية ما يكتنزه النص من دلالات ممكنة تحفظ له صلاحيته الزمانية والمكانية.

ولعل في تركيب (ليس منا) الإيحاء اللازم بقداسة العملية التعليمية النبوية، ومدى رفعة مكانتها، كما أن مراعاة الرسول ﷺ لأحوال سامعيه وتفاوت درجاتهم كان عليه أن يأتي ــ وقد فعل ــ ﷺ ــ بدلالات متناسبة وملائمة للموضوع والفكرة المراد توضيحها؛ لذلك استخدم ﷺ أفضل الوسائل وأكثرها وقعًا في نفس المخاطب، وهي وسيلة (ليس منا)، فالباحث يحتاج قبل إطلاق القول بالأحكام أن يعلم ورود هذا الاحتمال في فهم هذا التركيب (ليس منا)، لينظر في المعنى:

ــ هل هو فيما تظهر مفسدته، أو فيما يثبت تحريمه فيكون حرامًا؟.

ــ أم هو من باب الآداب، أو مما دل الدليل على عدم حرمته، فيكون غير دال على التحريم؟.

ففي هذا الإطار جاء هذا البحث موسومًا بـ(دلالات النفي بـ(ليس منا) في متون السنة النبوية: دراسة سياقية).

أسباب اختيار البحث:

مما دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب، منها:

١ــ تُعدُّ الأحاديث المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله ــ عز وجل ــ، فأهمية الموضوع مستمدة من أهمية ميدان الدراسة، ومن أهمية متعلقه ــ أي السياق ــ في فهم السنة حق فهمها.

٢ــ قلة الدراسات اللغوية التي تناولت الإنجازات التطبيقية المتعلقة بتطبيق نظرية السياق، وعدم التعامل معها بما تستحقه، رغم أهميتها الشديدة، واحتوائها على كثير مما هو جديد؛ ومن ثمَّ أحاول أن أخطو خطوة في هذا الميدان.

٣ــ قيمة هذه الأحاديث؛ إذ إنها تنطوي على ألوان من الدلالات والأغراض، حملها تركيب واحد وانتظمته، ووصلت بنا إلى تحقيق الإقناع والإمتاع، وتحصيل الاستجابة المطلوبة.

أهمية الموضوع:

لا يخفى أهمية هذا الموضوع وقيمته العلمية للعناصر الموضوعية التي تقدمت الإشارة إليها، ولما يمكن أن أجمله فيما يأتي:

١ــ أهمية كتب التراث التي تحمل في طياتها كمًا هائلاً من النصوص اللغوية، والتأصيل لفهم السنة بقواعد محكمة، وضوابط واضحة، وحقيق بجانب كهذا أن يهتم به الباحثون، ويبذلون فيه ما وسعهم جهدهم لدراستها.

٢ــ كثرة الروايات في بعض الأحاديث تعدُّ ــ في كثير من الأحيان ــ وسيلة مهمة من وسائل توجيه المعنى، بل إنها عنصر مهم وبارز من عناصر استجلاب السياق اللغوي المحقق للمعنى المراد.

أهداف الموضوع:

تهدف الدراسة إلى تحقيق بعض الأغراض، منها:

١ــ أثر دراسة تركيب (ليس منا) في فهم نصوص الأحاديث النبوية.

٢ــ التعرف على بلاغة النبي ﷺ من خلال منهجه الواضح في مراعاته لأحوال المخاطبين، باستعماله السياق وعناصره المختلفة في توضيح المعنى.

٣ــ تحديد مقومات كل حديث من أحاديث (ليس منا) انطلاقًا من منهج يتناول الأحاديث شكلاً ومضمونًا ووظيفةً.

إشكالية البحث:

وتكمن مشكلة البحث في الكشف عن تنوع المسارات الدلالية لتركيب (ليس منا) في وجوه النظر السياقي في تجلية المراد وحسن التوصل إليه من جانب آخر، ومن ثمّ تحاول الباحثة الإجابة عن التساؤلات التالية:

ــ ما الضوابط التي قدمها العلماء حتى تحتمل الكلمة معنى دون آخر؟

ــ متى يقتضي السياق أن يستعمل تركيب (ليس منا) بعينها أو بدلالة أخرى؟

ــ ما مستويات العلاقة بين الدلالة الوضعية والسياقية؟

ــ ما حال الألفاظ في التركيب؟ وما حال التراكيب التي وردت فيها (ليس منا)؟

ــ هل يؤثر السياق على إدراك الدلالة؟ وهل يكون تركيب (ليس منا) وسيلة للوقوف على مراد السياق أم أن السياق هو المهيمن على النص وطبيعة مجيئها؟

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، فجاء البحث قائمًا على تحليل النصوص والوصول إلى أفضل النتائج.

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة من خلال بحثها ــ على حدِّ العلم ــ على دراسة تعني بـ(دلالات النفي بـ(ليس منا) في متون السنة النبوية: دراسة سياقية)، ومن ثمَّ عُنِي هذا البحث بهذا الموضوع في دراسة مستقلة.

منهجية البحث:

سلكت في هذا الدراسة منهجية يمكن تلخيصها في الآتي:

١ــ حصر أغلب الدلالات المتعلقة بالسياق في أجزاء الدراسة.

٢ــ تقسيم الأحاديث إلى دلالات معنوية حسب ما فُهِم من مضامينها.

٣ــ عزوت الآيات الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٤ــ تخريج الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة.

٥ــ شرحت ما دعت الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة.

٦ــ التهميش: التزمت ذكر كافة بيانات النشر المتعلقة بالكتاب في أول إحالة إليه فقط، ولم التزم هذا في المصادر التي تكثر الإحالة عليها خاصة مصادر: تخريج الأحاديث وشروحها، والتراجم والمعاجم، واكتفيت بما وضعته في قائمة المصادر والمراجع، اختصارًا للهوامش.

خطة البحث المجملة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي على النحو التالي:

مقدمة: اشتملت على عنوان الموضوع، وأسباب اختياره، وأهميته، وأهدافه، وإشكالية البحث، والمنهج المتبع في الدراسة، والدراسات السابقة، مع عرض موجز لمحتوى البحث.

التمهيد: جاء بعنوان (ليس منا بين الدلالة والسياق) واشتمل على:

أولاً ـــ النمط الدلالي في أحاديث (ليس منا).

ثانيًا ـــ الاستعمال اللغوي للأداة (ليس).

ثالثًا ـــ (ليس منا) في ضوء النصوص الواردة فيها.

رابعًا ـــ الإيحاءات الدلالية النابعة من تركيب (ليس منا).

خامسًا ـــ مقال الخطاب والسياق.

ومما يسير عليه البحث من حدود وتوصيف، وضمن ما عولج به مسار الجانب التطبيقي، اختص كل مبحث منه بدلالة من دلالات النفي (ليس منا)، تصدرتها مقدمات موجزة تكشف عن قيمة هذه الدلالة، ودورها في توصيل أفكار المتكلم ومشاعره إلى المتلقي، ثم تلتها تفصيلات لطبيعة تلك الدلالة، والتماس عناصر تفيد في فهم معنى النص.

وجاءت المباحث كالتالي:

المبحث الأول ـــ أثر السياق في دلالة الترغيب والتشويق.

المبحث الثاني ـــ أثر السياق في دلالة الترهيب والتحذير.

المبحث الثالث ـــ أثر السياق في دلالة التهديد والوعيد.

المبحث الرابع ـــ أثر السياق في دلالة النهي.

المبحث الخامس ـــ أثر السياق في دلالة الإنكار التوبيخي.

المبحث السادس ـــ أثر السياق في دلالة الإرشاد والاحتياط.

الخاتمة:

ختم البحث بخاتمة ضمت أفكاره الرئيسة ونتائجه التي توصلت إليهـــا، وتوصيات البحث ومقترحاته، وثبت بمصادر البحث ومراجعه، ومحتوياته.

وبعد: أرجو التماس العذر ليّ لما قد يكون بهذه الدراســـة مـــن نقـــص أو خلل، فحسبي أنني أقدمت عليها بشغف، وحاولت جاهدة أن أحقق فيها نتائج ــ أرجو الله أن تكون مقبولة ــ ويكفيني ما بذلت في هذه الدراسة من وقـــتٍ وجهدٍ، أنها جاءت إسهامًا في خدمة لغة أفصح الناطقين بالضاد، رسولنا الكريم محمد ﷺ الذي سيظل حديثه الشريف يقدح بفكره وأسلوبه ما بقيت الحياة.

فإن أك قد وفقت فذلك فضل من الله، أحمده وأشكره عليه، وإن كانـــت الأخرى، فذلك من نفسي لفتور في الهمة، أو قصور في النظـــر، فالكمـــال لله وحده، وأساله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

التمهيد

لَيْسَ مِنَّا بين الدلالة والسياق

أولاً ـ النمط الدلالي في أحاديث (ليس منا):

قال رسول الله ﷺ في أكثر من فعل (ليس منا) أو (ليس مني)، والسؤال: لماذا قال رسول الله ﷺ (ليس منا) أو (ليس مني)؟، وماذا تعني هذه الكلمة، والتي في ظاهرها شيء عظيم؟ تبين:

١ــ ضرر هذه الأفعال الموصوفة بقوله ﷺ (ليس منا) لم يكن محصورًا في فرد معين أو مجموعة معينة، وإنما يتعدى إلى الآخرين سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات أم المجتمع بأسره لو تفشت وعمّت.

٢ــ أغلب هذه الأفعال ــ إن لم يكن جميعها ــ من فعل الجاهلية قبل الإسلام، ومن فعل اليهود، أو من فعل النصارى أو غيرهم من الملل الغير مسلمة الذين نهانا الشرع الحكيم عن التشبه بهم.

٣ــ حرص النبي ﷺ على أن يقوَّم مجتمعنا الإسلامي على أساس متين وقوي ومتماسك، بحيث تكون لبناته من نور وهدي وتقى.

٤ــ الإعلان برفض المنكرات وتحذير المجتمع من الإقدام عليها بأسلوب الوعظ السليم والإنكار على فاعليها، أمر ضروري من ضروريات الدين.

وهنا: لنا أن نتساءل أيضًا، لماذا كثر هذا النمط الدلالي في أحاديثه ﷺ؟

هذا الأسلوب له من الخصائص والسمات ما لا يتوافر إلا فيه، فهو أسلوب يتسم بالعمومية وإخراج الكلام مخرج القاعدة الجامعة المانعة؛ وذلك راجع إلى طبيعة تبليغه ﷺ ، فهو بلاغ للناس كافة. يقول العقاد عن هذه الناحية وأثرها في أسلوبه ﷺ : "ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي ﷺ في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة ... بل هي السمة الجامعة لما تفرق من سمات أخرى هي منها بمثابة الفروع"(١).

---

(١) عبقرية محمد ﷺ ، العقاد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩١هـ ــ١٩٧١م، ٨٣.

ومن ثمَّ صدر الكثير من بيانه ﷺ قاصدًا الاستيفاء والشمول والعموم. يقول الإمام عبدالقاهر موضحًا أصالة كل لفظ في أداء المعنى في التراكيب: "وهكذا يكون الأمرُ أبدًا كلما زدتَ شيئًا وجدتَ المعنى قد صار غير الذي كان"(١).

وتأسيسًا على ذلك فإن (مِنَّا) في تركيب (ليس منا) أتت للدلالة على التعميم والاستغراق الشامل لكل مؤمن يؤدي هذا الواجب، فلا يستثنى من هذا العموم أحد، فهذه الأحاديث تقوم على دعامة أساسية من دعامات البيان النبوي وهي "الاستيفاء الذي يصدر به الكلام ــ مع حذف فضوله وإحكامه ووجازته ــ مبسوط المعنى بأجزائه، ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيبًا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس، فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ تمثل المعنى وأتمه في نفسه في حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تامًا مبسوط الأجزاء، وأصاب هو من الكلام معنى جموحًا لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه إحساسًا لنظر معنوي"(٢).

ولا شك أن الإيجاز "قوة في التعبير وامتلاك لناحية اللغة، وهو أصلح للحفظ والرواية والتمثيل، ولابد في الإيجار المعتبر من الوضوح التام، فإن لم يكن الكلام وافيًا بالغرض دالاً على المراد فهو الإخلال، وهو عيب في الكلام، كالتطويل، ولا يؤتي الإيجاز إلا من رزق حدة في الذهن، وإرهافًا في الإحساس البياني، ومعرفة تامة بدلالة المفردات، وإدراكًا واعيًا لأحوال المخاطبين، وقد اجتمع ذلك كله في الرسول ﷺ على أكمل وجه"(٣).

---

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٣هـ ــ١٩٩٢م، ٣٤/٢.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٥م، ٢٢٩/١، ٢٣٠.

(٣) الحديث النبوي: مصطلحه ــ بلاغته ومكانته، د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠١هـ ــ١٩٨١، ١٠٦.

ثانياً ـ الاستعمال اللغوي للأداة (ليس):

ليس (فعل) "يدخل على جملة ابتدائية، فينفيها في الحال، وذلك أنك إذا قلت: (زيد قائم) ففيه إيجاب قيامه في الحال، وإذا قلت (ليس زيدُ قائمًا) نفيت المعنى"(١)، وعليه نستطيع أن نلقي الضوء على:

ـــ مفهوم النفي لغة واصطلاحًا:

النفي لغة: ورد النفي معجميًا بمعان متعددة، وما يصب في سياقنا هو الإقصاء والإخراج والتنحية والطرد(٢).

النفي اصطلاحًا: "هو ما لا ينجزم بـ(لا)، وهو الإخبار عن ترك الفعل"(٣)، ويُعد بابًا من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إلى إخراج التركيب اللغوي من حكمه المثبت إلى ضده، وتحويل المعنى الذهني الإيجابي إلى خلافه، فهو أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وفيه نقض، وإنكار، يحمل معنى عقليًا مشتركًا بين جميع العقول، يفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة ـ الفعلية والاسمية ـ(٤)، ولا يتم إلا بأداة تُشعر بالنفي، يقتضي النفي ركنين أساسيين، هما: المنفي، والمنفي عنه، ويدخل معنى النفي في كل لغة بشرية، فمعناه من المعاني البدائية التي يفترض أن تعرفها كل لغة منذ طفولتها(٥).

---

(١) شرح المفصل، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٣٦٦/٤.

(٢) لسان العرب وأساس البلاغة، والمعجم الوسيط، مادة (ن ف ي).

(٣) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م، ٢٤٥/١.

(٤) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨،(د.ت)، ١٧٦؛ في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ٢٤٦؛ أساليب العطف في القرآن الكريم، محمد حسين أبو لبنان، ط١، ١٩٩٥م ٤١٨؛ واللغة في الدرس البلاغي، عدنان عبدالكريم جمعة، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٨م، ٢٢٧

(٥) في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليل وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي وأسلوب الاستفهام، خليل عمايرة، سليمان العاني، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥م، ١٥٤.

والأدوات في الاستعمال العربي من القرائن اللفظية المهمة[١]، تشترك جمعيها في الدلالة على معانٍ وظيفية خاصة، مثل (النفي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والشرط) إلى جانب المعنى الوظيفي العام[٢].

ويتمثل الربط بالأداة: في أن معناها "ينسحب على كل ما دخل في حيزها من عناصر الجملة، أي أن كل ما دخل في حيز النفي فهو منفي، واشتراك عناصر الجملة في معنى النفي الحادث بسبب قدوم الأداة، يجعل الأداة سببًا في هذا الاشتراك، بمعنى أنها ربطت بين عناصر الجملة بتشريكها في معنى النفي، فأحكمت الصلة بين هذه العناصر، فلم يَعُدْ يخرج عن معنى النفي منها شيء، إلا أن يكون ذلك بأداة استثناء أو استدراك أو نحوهما"[٣].

فالتعليق إذًا، هو الوظيفة العامة التي تقوم بها الأداة، إلا أنها غير قادرة على تحديد معنى الجملة بمفردها، بل "عناصر الجملة تتداخل، وتتشارك

---

(١) **تقسم القرائن إلى نوعين، هما:**
١ــ **القرينة اللفظية:** (الإعراب، الرتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والنظام، والأداة، والتنغيم).
٢ــ **القرينة المعنوية:** (الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية، والمخالفة).
والاثنتان تدخلان ضمن القرائن المقالية، أما القرائن الحالية، فتعرف من المقام. (ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤، ١٩١).

(٢) **يراد بالوظيفة:** المعنى المُتَحَصَّلُ من الألفاظ أو الصور، الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي، لهذا تقسم الوظائف في اللغة العربية إلى قسمين: وظائف نحوية، ووظائف صرفية. (ينظر: أقسام الكلام العربي، من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، تقديم: د. تمام حسن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ٢٠٣).

(٣) مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ ــ٢٠٠٦م، ١٧٨/١.

دلالتها والمعنى يتخصص من خلال تضافر مجموعة من القرائن النحوية والسياقية"[1].

أما دلالة الأدوات الزمنية ــ ولاسيما النافية منها ــ فهي تُرشح الحدث لزمن معين، ولها أثر مهم في تحديد الدلالة الزمنية للأفعال ضمن السياق اللغوي، فاقتران أداة النفي بالفعل يُحدد زمنيته، ومما لا يخفى أن الزمن أحد أهم دعامتين في هيكل الفعل إلى جانب الحدث الذي يجري وينبسط فيه"[2].

ثالثًا ـــ "ليس منا" في ضوء النصوص الواردة فيها:

قال أبو عبيد: "فهذه الآثار كلها وما كان مضاهيًا لها فهو عندي على ما فسرتُه لك، وكذلك الأحاديث التي فيها البَرَاءةُ، فهي مِثْلُ قولِه: "مَنْ فَعَلَ كذا وكذا فَلَيْس مِنَّا". لا نرى شيئًا منها يكون معناه التبرُّؤُ من رسول الله ﷺ ، ولا من ملته، إنما مذهُبهُ عندنا: أنه ليس من المطيعين لنا، ولا من المُقْتَدين بنا، ولا من المحافظين على شرائِعِنا، وهذه النُّعُوتُ وما أشبَهَها وقد كان سفيانُ بن عُيَيْنَة يتأَوَّلُ قَوْلهُ: (ليس منا): ليس مِثْلنا، وكان يرويه عن غيرِهِ أيضًا. فهذا التأويلُ ــ وإن كان الذي قاله إمام من أئمة العلم ــ، فإني لا أراهُ من أجْلِ أنه إذا جَعَل مَنْ فَعَل ذلك ليس مثل النبي ﷺ لزَمه أن يَصِيرَ مَنْ يفعلهُ مثل النبيﷺ، وإلا فلا فرق بين الفاعِل والتارِك، وليس للنبي ﷺ عديل ولا مَثَلُ مِنْ فاعِلٍ ذلك ولا تاركِه، فهذا ما في نفي الإيمان، وفي البراءة من النبي ﷺ إنما أحَدُهُما من الآخر وإليه يَؤُولُ"[3].

---

(١) الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش مصطفى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م، ٦٧.

(٢) الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، محمدالملاخ، ط١، ٢٠٠١م، ١، ١٧.

(٣) الإيمان (ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته)، للقاسم بن سلام، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م، ١/٨٥، ٨٦.

نفهم من النص السابق:

ــ حرْص الرسول ﷺ على حماية التوحيد وتنقيته من أي شائبة، فبيْن ﷺ أنه ليس من سنته وهديه فعل هذه الخصال مما يجئ في الأحاديث التالية:

ــ بداية الحديث بداية ملفتة تسترعي الانتباه وتجذب وسائل الإدراك والتركيز لدى المتلقي، فالنبي ﷺ يقول: "ليس منا" لا شك أن النفس قد اضطربت واهتزت وشغفت بكينونة المُتَحَدثُّ عنه الذي يفصله النبي ﷺ عنه وعن جماعة المسلمين.

ــ فيه من الزجر ما فيه، بل هو من أشد معاني الزجر، إذ كيف يقبل عاقل أن يفعل شيئًا يبعده عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين، وكلها أحاديث تنقي المسلمين من أي شائبة في عقيدتهم أو عباداتهم أو أخلاقهم وسلوكهم ومعاملاتهم حتى تهديهم للتي هي أقوم.

ويلاحظ على النصوص التالية المتماثلة في البناء والتركيب، ما يلي:

١ــ أداة النفي (ليس).

٢ــ مجيء الخبر شبه جملة (جار ومجرور) "منا" مقدم.

٣ــ مجيء الاسم معرفة اسم موصول (من) مؤخر.

كل ذلك له دلالته: فـ(ليس) وهي فعل ماض ناسخ ناقص تفيد نفي اتصاف اسمها بمعنى خبرها في زمن الحال، فالواقع في هذه المحظورات ينفي النَّبي ﷺ عنه انتسابه إليه وإلى المسلمين أثناء خوضه فيها، فالمعنى كما في قوله ﷺ **"لَا يَزْنِي الزَّانِي حِين يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ..."**(١).

(١) صحيح البخاري، ١٣٦/٣ (٢٤٧٥)، أي لا يقدم على ارتكاب هذه الفعلة وهو متلبس بالإيمان، وفسَّره البخاري قال: "هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله غفر له" (شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٣م، ٢٠٩/١) (باب من خَصَّ بالعلم قومًا دون قومٍ كراهة ألا يَفَهَمُوا).

وتقديم الجار والمجرور (منا) لمناسبة سياق الكلام، إذ الأسلوب قائم على الزجر والترهيب، فتقديم (منا) وجعله مباشرًا لأداة النفي (ليس) أوقع في النفس وأكثر تأثيرًا وأغزر تشويقًا بخلاف ما لو جاء الكلام على نسق (ليس من فعل كذا منا) فلا شك أن مزية الكلام تذهب، وبريقه يخفت، وقد جرت عادة العرب كما يقول الزركشي: "فإنهم يبدءونَ بالأهم والأولى"(١).

و(مَنْ) اسم موصول يدل على من يعقل ولكونها مبهمة فإنها تؤدي معنى المفرد والمفردة والمثنى والجمع، ويفرق بين هذه المعاني الضمير العائد إليها(٢).

رابعًا ـــ الإيحاءات الدلالية النابعة من تركيب (ليس منا):

من أهل العلم من ذكر أن مثل هذه الأحاديث تمر كما جاءت ولا تفسر وأنها على التأكيد والتشديد، وقد سئل الإمام الزهري عن حديث: **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُوَد"**(٣)، وما أشبهه فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: "من الله ــ تعالى ــ العلم وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم"، وكان الإمام سفيان الثوري يمتنع عن تأويل هذا الحديث ويقول: "إن مثل هذا الحديث ينبغي أن يترك على ظاهره ولا يؤول، فإنه يخف منه الوعيد والمقصود زجر الناس عنه والتخفيف يخل به"(٤).

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ ــ١٩٥٧م، ٢٣٥/٣.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الأستاذ/ محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ط١ ١٤١١هـ ــ١٩٩١م، ٧٠٠/١.

(٣) صحيح البخاري، ٨١/٢ (١٢٩٤).

(٤) السنة ومسائل الإيمان، الخلال بن يزيد، تحقيق: الأستاذ/ عطية المزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ــ١٩٨٩م، ٥٧٩/٣؛ ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: الأستاذ/ عبدالرحمن بن محمد ابن القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ــ١٩٩٥م، ٦٧٤/٧ (بتصرف).

فقوله (ليس منا) لا يُخْرِج من الملة إلا على جهة الاستحلال إلا أن العلماء اختلفوا في ضبط الدلالة ــ كما مَرَّ ــ فمنهم من حمله على التغليظ والمبالغة، ومنهم من تأوله على نفي الدين الكامل، ومنهم من توقف إزكاءً لمعاني الزجر والوعيد، وقد رد أبو عبيد القاسم بن سلام القول القائل بحمل الأسلوب على التغليظ بل ذكر أن "أفظع ما تُؤوِّل على رسول الله ﷺ وأصحابه، أن جَعَلُواْ الخَبَرَ عنِ اللهِ وعن دِينِه وعيدًا، لا حقيقة له، وهذا يَؤُولُ إلى إبطَالِ العَقاب؛ لأنه إنْ أمْكَنَ في واحدًا منها كان ممكنًا في العُقُوبات كُلّها"(١).

ومعنى قوله ﷺ (ليس منا): ليس متأسيًا بسنتنا ولا مقتديًا بنا ولا متمثلاً لطريقتنا التي نحن عليها(٢).

وفائدة إيراد هذا التركيب (ليس منا) المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك(٣)، فليس المراد بهذا الإخراج عن الدين، وذكر الزبير ابن المنير فيما نقله عن ابن حجر أن "الأولى أن يقال المرادُ أن الواقعَ في ذلك يكونُ قد تعرضَ لأن يُهْجَر ويُعْرض عنه فلا يختلط بجماعةِ السُّنة تأديبًا على استصحابه حالة الجاهلية التي قبَّحها الإسلام ...، وقيل المعنى: ليس على ديننا الكامل، أي أنه خرج من فرعٍ من فروع الدين، وإن كان معه أصله"(٤).

---

(١) الإيمان، ٧٦/١.

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٢٧٥/٢ (باب ليس منا من شق الجيوب).

(٣) التوشيح شرح الجامع الصحيح، السيوطي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٩هـ ـــ١٩٩٨م، ١٠٧٧/٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ، ١٦٤/٣، (باب ليس منا من شق الجيوب).

ويؤكد الكرماني أن فاعل هذه الأمور لا يخرج من هذه الملة، وأن النفي للتغليظ اللهم إلا أن يفسر الفعل بما يوجب الكفر نحو تحليل الحرام أو عدم التسليم لقضاء الله فحينئذ يكون النفي حقيقة(١)؛ لأن المعاصي لا يكفر بها عند أهل السنة، وإنما يكفر باعتقاد حلها(٢).

يقول ابن حجر: "فإن وقع التصريحُ بالاستحلالِ مع العلم بالتحريم أو التسَخُّط مثلاً بما وقَعَ فلا مانعَ من حَمْلِ النَّفي على الإخراجِ من الدين"(٣).

ويحمل أبو عبيد هذه الأحاديث على أن المنفي هو الكمال الواجب الذي يعاقب تاركه، "وإن الذي عندنا في هذا الباب كُلِّهِ أنَّ المعاصِيَ والذنوب لا تُزيلُ إيماناً ولا توجبُ كُفرًا، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقتَهُ وإخلاصَهُ، فَلَمَّا خَالَطتْ هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت بغيرها، قيل: ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين ولا الأمانات التي يُعْرَف بها أنهُ الإيمانُ، فنفَتْ عنهم حينئذٍ حقيقتَهُ ولم يَزُلْ عنهم اسمه. فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمنٍ واسمُ الإيمانِ غيْرُ زائلٍ عنه؟ قيل: هذا كلامُ العربِ المستفيضُ عندنا غَيْرُ المسْتَنْكَرِ في إزالةِ العملِ عن عاملِهِ إذا كان عمله على غيرِ حقيقتِهِ، ألا ترى أنهم يقولون للصَّانع إذا كان ليس بمحكمٍ لعمَلِهِ: ما صنعتَ شيئًا ولا عمِلت عَمَلاً، وإنما وقع معناهم هاهنا على نفي التجويدِ لا على الصنعةِ نفسِها فهو عندهم عاملٌ بالاسمِ، وغيرُ عامل في

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ ــ١٩٨١م، ٨٨/٧.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، دار صادر سعيد، ط٦، ١٤٠٤هـ، ٤٠٦/٢.

(٣) فتح الباري، ١٦٤/٣ (باب ليس منا من شق الجيوب).

الإتقان"[١]، وهذا القول أخذ به القاضي أبو يعلي (ت:٤٥٨هـ)[٢]، والنووي (ت:٦٧٦هـ)[٣]، وابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ)[٤]، والمروزي (ت:٢٩٤هـ)[٥]، والسفاريني (ت:١١٨٨هـ)[٦].

وكل هذا يدل على خطورة اقتراف هذه الأمور، وأنها محرمة في الإسلام؛ إذ تؤثر على كمال الإيمان وتبعد المسلم عن حياض أهل التقوى، فهي كبيرة من الكبائر، تجلب لصاحبها خسارة عظمى وبلية كبرى.

هذه الميزة والإيحاءات النابعة من تركيب (ليس منا) هي التي تميز البيان النبوي فإن "من فضلة الجرس في البيان النبوي أن نرى لفظًا في الحديث واحدًا يرسم صورة المعنى الكامل، أو يساعد في أكبر حيز من الإطار على تصويره أو تأكيد معالمه في جوانب الصورة"[٧].

---

(١) الإيمان ومعالمه، أبو عبيد القاسم بن سلام، ٧٨ــ٨٠.

(٢) ينظر: مسائل الإيمان، القاضي أبو يعلي، تحقيق: د. سعود الخلف، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ٣٩١

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ ، ٤٢/١، ٤٢.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: الأستاذ/ مصطفى بن أحمد العلوي، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ٢٤٣/٩.

(٥) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المَرْوَزي، تحقيق: الأستاذ/ عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ ــــ١٩٨٦م، ٥٣٥/٢.

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني الأثري الحنبلي، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م، ٤١٦/١.

(٧) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد، (د.ط)، (د.ت)، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ٢٨٠.

فدراسة تركيب (ليس منا) والبحث عن ارتباطها بالدلالات والإيحاءات في ضوء سياق محدد يزيد من الفهم الدقيق للمضمون العام للحديث النبوي، ويبين مدى انسجامه مع الغايات التي يروم الحديث النبوي الشريف إيصالها للمتلقي، وذلك بسبب الانسجام بين دلالات تركيب (ليس منا) مع الأحداث المراد إيضاحها وتفصيلها من دلالة السياق ومن المقام الذي هو "جملة من الظروف الحافلة بتولد النص"(١)، كما أفاد تركيب (ليس منا) معاني ثابتة، يستشف بوساطة السياق الذي كثيرًا ما يمارس دورًا رئيسًا في تفهم العلاقات المعنوية بين اللغات التي يدركها المتلقي أو يحمل بها إحساسًا وجدانيًا، وبهذه الأمور أصبح تركيب (ليس منا) تركيز وتكثيف لأسس القول ومضامينه، ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب كثيرًا في أحاديثه، حتى إنه ليمثل ظاهرة لغوية جديرة بالبحث والدراسة،وقد أحصيت أكثر من عشرين حديثًاجاءت على هذا النسق من البيان النبوي على النحو الذي سأوضحه ــ بإذن الله تعالى ــ في هذا البحث.

خامساً ـ مقال الخطاب(٢) والسياق:

إن الناظر في النصوص النبوية ــ كتابًا وسنةٍ ــ لا يحسن به الإقدام على تفسيرها والنظر فيها ما لم يكن عالمًا بأصول الاجتهاد وقواعد الاستنباط، عارفًا بطبيعة النص المنظور فيه وخصائصه، من حيث اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وتكلم بها صاحب الرسالة ﷺ وهي العربية، ومن حيث المحيط الذي ورد فيه الخطاب.

---

(١) في الأدب والنقد، محمد مندور، ٢٠٠٨م، ٢١.

(٢) **الخطاب:** "هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه". (ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ، ٧٢/١)، أو هو: "كل تلفظ يعترض متكلمًا ومستمعًا، وعند الأول هو في التأثير على الثاني بطريقة ما". (تحليل الخطاب الروائي،سعيد يقطين،المركز الثقافي للكتاب العربي،١٩٨٩م، ١٩).

فكل من يروم فهم النص ينبغي أن يهتدي ــ تبعًا لتلك الخصائص ــ بمنهج منضبط يجنب المجتهد الزلل في الفهم والخطأ في الاستنباط. فاعتبار السياق يشكل منهجًا رئيسًا للوصول إلى دراسة المعنى وتحديده واستخراج قدرات النص على استيعاب الواقع، بل إن اعتبار السياق أضحى من أبرز وأهم محددات دلالة النص في المجالات التشريعية وغيرها.

وقبل الحديث عن السياق ومتعلقاته، نلقي الضوء على الخطاب النبوي؛ لتعلقه بالسياق.

ـــ الخطاب النبوي ومراعاة المخاطب:

تمتلك الألفاظ النبوية طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة على المتلقي، وتنظم تلك الألفاظ في تراكيب متنوعة تختلف تبعًا لقصد المخاطب وأسلوبه في الخطاب الذي يتميز عن غيره، فالأسلوب هو: الطريقة والفن[1]، أو "طريقة تأليف الألفاظ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير". والتأثير في النفوس ينبع من قدرة مبدع الألفاظ على التأثير والإقناع، ولا يتم هذا إلا بانتقاء أجزل الألفاظ والعبارات وأقدرها على التعبير، ولا يخفى ما للغة وأسلوب المخاطب من أثر في نفوس متلقيه، باعتبار أن وظيفة النظام اللغوي تبليغ أغراض المتكلم للسامع[2]، وتبعًا لذلك تتباين أساليب المخاطب في خطابه، فلكل مَوْقفٍ خطابٌ خاصٌّ به، ولكل مقام مقال.

وقد راعى رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة (أحاديث ليس منا) مستويات الفهم للمخاطبين؛ ذلك لأنه خطاب جاء لعموم الناس وعلى مختلف

(١) المصباح المنير، ١٠٨/٢.

(٢) مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية، د. جان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ١٥.

المستويات العقلية والعمرية. وبالعودة إلى أحاديث (ليس منا) نجد أن الرسولﷺ يرسم منهجًا في التعامل مع النفس الإنسانية، لكل نفس لها ما يناسبها من التعامل والأسلوب، فمن كانت نفسه تميل إلى التشدد ناسبه الزجر، ومن كانت نفسه تميل إلى التقلب ناسبه الحجة والإقناع.

فالخطاب النبوي متعدد الأبعاد، يتمثل في:

- البُعْد الديني.
- البُعْد التعليمي التربوي.
- البُعْد الحِجاجي(١).
- البُعْد الجمالي.

وهو في تحقيق هذه الأبعاد خطاب مركب؛ إذ لا تنفصل غاية عن أخرى، وبقدر ما يحقق البعد التعليمي ينطوي في الوقت نفسه على البعد الديني، كما ينطوي على البعد الجمالي ولا ينفصل عن البعد الحجاجي.

ولكن على الرغم من غاية البعدين الحجاجي والجمالي، فإنهما دون مستوى غاية البعد الديني؛ لأن البعد الحجاجي ليس غاية مطلقة، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى وسيلة تمكينية، تتغير بدورها للتمكين من حقائق ذات وقع شديد في نفوس المتلقين على مختلف مستوياتهم.

وأحاديث (ليس منا) تجمع هذه الأبعاد جميعًا، بيْد أن البحث في إحدى هذه الغايات على أنها الغاية التي ليس وراءها غاية يفتقر إلى المشروعية، فيخطئ من يبحث عن الغاية الجمالية فقط؛ لأن الخطاب النبوي يتطلب التأهب

(١) أسلوب الخطاب الاحتجاجي الذي يُعدّ واحدًا من أهم الأساليب التي يستعملها العقل البشري في محاوراته ومخاطباته، والقصد منه: "الإتيان بالدليل والحجة والبرهان في إثبات الحق وإلزام الخصم بها". (ينظر: الخواتيم السبع: دراسة تحليلية فنية، د. طالب عويد الشمري، سلسلة الإصدارات العلمية، بغداد، ط١، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٩م، ١١٢).

لخصوصية في الرؤية تتناسب مع خصوصية هذا الخطاب النبوي الذي ينبني على متكأ سياقي يتعلق بعناصر سياقية تحكم عملية التواصل بين المُخَاطِب ــ الرسول ﷺ ــ والمتلقي، فالسياق الذي يحكم طرفي الخطاب إنما هو سياق غاية في الصدق، ثم تأتي الصياغة بعد ذلك ليست من قبيل الإقناع بالحجة اللغوية الخالصة؛ لأن اللغة تأتي هنا وسيلة لتمكين الحقيقة في نفس المتلقي، ومن هنا نقول بمغايرة النص النبوي لغيره من أنماط الخطاب بين البشر بعضهم البعض في دوافعه ووسائله وملابساته السياقية؛ لأنه نص نبوي معجز، وفي الأمر ذاته يُعدُّ نَّصْا تشريعيًا؛ لأن السنة النبوية بيان وتوضيح لما جاء في القرآن الكريم.

ـــ مفهوم السياق في اقتضاء الدلالة:

تتحدد الرؤية بمفهوم السياق ومعرفة المعطيات التي تبديها اللغة عن طريق بيان معناه اللغوي والاصطلاحي.

السياق لغة:

تقرر في المعاجم اللغوية القديمة تركيب (السياق) في عدة مواد اشتقاقية تنم عن معاني تشق طريقًا لا يخرج عن المدلول الاصطلاحي[1].

وقد وردت مادة (السياق) في القرآن الكريم والسنة النبوية بمعاني متعددة، لكنها لا تخرج عن المادة اللغوية التي لفت إليها اللغويون أنظارهم ومن خلال عرض هذه المواد الأصلية لاستعمال العرب في مخاطباتها.

(١) العين، ١٩٠/٥ (ق س و)، ولسان العرب، ١٦٦/١٠ (س و ق)، والمعجم الوسيط، ٤٦٤/١ (س و ق).

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[1]، قال الشيخ ابن عاشور: "والسَّوقُ: تسييرُ الأنعامِ قُدَّامَ رُعَاتِهَا، يجعلونها أمامَهُم ليرهبها زَجْرُهُمْ وسِيَاطُهُم فلا تتفلَّتُ عليهم"[2].

يقول الدكتور تمام حسان معلقًا على هذه المعاني اللغوية الواردة في المعاجم العربية، والتي تدل على (التتابع والإيراد): "المقصود بالسياق: (التوالي) ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين:

الناحية الأولى: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص).

الناحية الثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)"[3].

نستخلص من هذا الطرح اللغوي إضافة إلى المورد القرآني أن لفظ السياق قد تم توظيفه في مورد مادي، مثل: سوق الإبل؛ وكذلك مورد معنوي، مثل: سوق الكلام؛ كذلك تشير كلمة (ساق) في الذهن، إلى معنى اللحوق والإضافة والاتصال بالشيء، واقتفاء أثره، كما تفيد معنى التسلسل والتتابع، ومن هذه المعاني المتعددة المتقاربة التي تعبر عن تعدد المعنى الاصطلاحي، يمكن أن نصل إلى تعريف جزئي للسياق.

---

(١) سورة مريم: الآية (٨٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م، ١٦، ١٦٨.

(٣) قرينة السياق، د. تمام حسان، بحث قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير، القاهرة، ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م، ٣٧٥.

السياق اصطلاحاً:

بدا الأمر عسيرًا في التحديد الدقيق لشكل متفق عليه بين الدارسين، ولعل هذه الصعوبة هي التي جعلت الذين كتبوا في هذا الموضوع يغضون الطرف عن تعريف السياق، ورغم تلك الصعوبة الظاهرة في تعريف المصطلح، فإن هناك من حاول أن يضع له تعريفًا اصطلاحيًا في ميدان علم اللغة الحديث: "السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصفها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق"(١).

أثر السياق في تحرير المعنى:

أحاديث (ليس منا) تتضمن مجموعة من النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية بطريقة ملفتة للنظر ومتميزة، كما أن الطرح الأسلوبي داخل نص الحديث فيه تمّيز وفرادة، يضاف إلى ذلك تميز أدوات التواصل والإقناع أيضًا، فالسياق هو قدرة أو قوة تربط النص بالعوامل المشكلة له، تربطه بالمعارف المكوّنة له، فلا ينحصر بالجمل المتتابعة داخل نطاق النص فحسب، فهو العلاقة التي تفسّر وتعزز الجانب الاتصالي للنص، إنه "الطريقة التي يعبر بها المبدع عن القيمة محور التجربة، سواء أكانت هذه الطريقة منطلقة من الارتباط بالقيمة، واستدعائها تشكيلاً معيناً، أم منطلقة من التشكيل لاحتوائه على قيمة لها أبعاد خاصة"(٢).

---

(١) أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبدالرحمن بودرع، مجلة الإحياء، (المغرب)، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ ـ٢٠٠٧م، ٧٣.

(٢) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة' آفاق عربية، العراق، ط١، ١٩٨٧م، ٢١٥.

فإن هذا الخطاب اللغوي المتميز لأحاديث (ليس منا) تتواجد كلها في الظاهرة السياقية إلى حد بعيد وبكل تجلياتها المختلفة، هذه الأنواع السياقية تقسم إلى أنواع، وكل نوع سياقي يملك قابلية التأثير والتأثر بالأنواع السياقية الأخرى المتواجدة في النص مشكلين من خلال ذلك شبكة مترابطة من العلاقات المحكمة النسج لتعطي للأحاديث تميز ووحدة، ومن هذه الأنواع:

أ) سياق الموقف (المقام):

النص التواصلي اللغوي (توال من الحالات والتي بعدها)[١]، تحكمها روابط دلالية وفقًا لوجود لون من السياق يمكن تسميته سياق الموقف الذي يُعد في الدرس اللغوي الحديث بيئة غير لغوية تتفاعل فيها (مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف)[٢]؛ وبهذا فإن نص الحديث قد أُنْتِج وسط الأحداث والظروف والملابسات الموقفية، ولا يمكن أن يستمر وجوده إلا إذا كان مصاحبًا للمحيط والبيئة التي ولد فيها؛ لأنه (مما لا شك فيه أن للمعاني التي يريدها المرء قيودًا، ولكن هذه القيود تضمن إمكانية مشاركة المعنى بين المرسل والمتلقي معًا)[٣]، حتى أنه لا يمكن أن تفهم الكثير من كلمات نص الحديث وجمله، بل ودلالته الكلية وفقًا لما أراده النبي ﷺ واقتضته الشريعة الإسلامية إلا بالرجوع إلى الخبرة الفعلية ورصد مظاهر الواقع الذي تستمد منه كل مكونات النص الشكلية وجودها وحضورها؛ لأن تحديد المعنى (يعتمد على الخبرة السابقة والأعراف التي يتعلمها المرء)[٤].

---

(١) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٧م، ٩٢.

(٢) النص والخطاب والإجراء، ٩١.

(٣) المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٧م، ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ١٠٦.

وعلى هذا الأساس فإن الموقف الاتصالي بكل عناصره الفاعلة: مرسِل ومرسَل إليه، والعلاقة القائمة بينهما، وزمان ومكان الخطاب، والملابسات الاجتماعية، والظروف السياسية والثقافية والدينية ... كل هذه العناصر المشكلة للموقف التواصلي ضرورية الحضور في التعاطي المثمر مع نص الحديث مهما كان حجمه وموضوعه، وبهذا يتم وضع (البيئة اللفظية في إطار السياق...) الذي يحيط بنص الحديث(١).

ب) السياق الثقافي (السياق الاجتماعي):

تلعب اللغة في الاتصال الإنساني دورًا دلاليًا لا يمكن إنكاره؛ إذ تعطي المشاركين في الحدث التواصلي الإحساس بقضايا تحققها اللغة من إقناع أو تفسير أو نهي أو تعليم.

إن مخاطبة النبي ﷺ غيره بأحاديث (ليس منا) يكتسي إشكالية بحيث يمكن أن ينظر إليه على أنه يمثل خروجًا عن الدين بنسب متفاوتة، ولكن حرصًا على سلامة الرسالة الإسلامية الكاملة حتى تكون بين يدي الأجيال القادمة كما نزلت، تداخلت في نصوص الأحاديث (الوقائع مع القيم، والمعطى مع البُنى، والمعنى مع المبنى)(٢)، وبذلك يحمل الخطاب النصي جدلية جمالية بين منطق الفعل التواصلي المسموع ومنطق الفعل التواصلي المقروء، فنص أحاديث (ليس منا) يقتضي أن ينظر إليه من هذه الخلفية المشار إليها آنفًا في إطار بنية دلالية شاملة، كما تحقق لهذه الأحاديث خصوصية أسلوبية وتعبيرية

(١) نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٩م، ٢٥.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م، ٣٧.

جمالية الطابع الحواري تلك الحوارية المتمثلة في:

أ) حوار الرسول ﷺ مع رجل يبيع طعامًا: "ما هذا يا صاحب الطعام؟"(١).

ب) حواره ﷺ مع القوم: "أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا"(٢).

هي نماذج موجزة تشير بأن خطاب هذه الأحاديث غالبًا ما يعبر عن قيمة شرعية ورؤية وجودية مستقبلية، ومن ثمة فهي تكشف عن تلك الحالة الشعورية المتنوعة من الفرح والحزن والسعادة والكآبة التي يتلبسها كلٌ حسب الطريق الذي اختصه الإنسان في مدار حياته العمرية. هذا البعد الحواري الذي طبع هذين النصين لاشك أنه انعكاس طبيعي لطبيعة الرسالة الإسلامية القائمة على الإقناع والمجادلة بالتي هي أحسن، وكذا مراعاة طبيعة المتلقي من حيث نيته الفكرية والنفسية والاجتماعية فيتوجه إليه (مطلعًا إياه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبًا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه وتجاوز الخلافات في الرأي بين المتحاورين تجاوزًا لا يأتي بالحل الوحيد والأوحد بقدر ما يأتي بحلول متوازنة ومعتدلة تستجيب لأوضاع تتغير عناصرها وتستجد مطالبها على مر الزمن)(٣)، وهو تصور أعمق وأكثر واقعية، بحيث يجعل كل من يقرأ النص إلا واستشعر وكأنه خطاب منجز في التو واللحظة؛ لأن "الأشياء لا تقاس بوجودها أو عدم وجودها في عالم الحس، وإنما تقاس بمقدار ما توجد في عالم النفس، وبالمساحة التي تشغلها من المشاعر والأفكار والسلوك"(٤)، ولهذا فنوع النص عامة مرتبط بالسياق وعناصره المختلفة، وهو في الوقت نفسه علامة

---

(١) صحيح مسلم (من غشنا فليس منا)، ٩٩/١ (١٠٢).

(٢) صحيح البخاري، ٢/٧ (٥٠٦٣).

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٣٧.

(٤) قبسات من الرسول، محمد قطب، دار الشروق، ط١٥، ٩.

اجتماعية متعارف عليها بين أفراده؛ إذ "التمييز بين أنواع المواقف يولد الاعتداد بأنواع النصوص التي تُعد مناسبة للمواقف"(١).

الدراسة التحليلية السياقية

لا يخفى أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد كان لها أثر كبير بحكم اتساع ألفاظها وحركة دلالاتها وشمول معانيها في التعبير عن مراد الشارع المقدس من الأحكام الشرعية تفصيلاً وإجمالاً وتقييدًا وإطلاقًا، وتخصيصًا وعمومًا؛ الأمر الذي جعل من دلالات ألفاظها المتنوعة أدوات فاعلة في مجال فهم النص الديني المؤدي إلى الاستنباط الواقعي للحكم الشرعي مهما تعددت وسائل هذا الاستنباط وطرقه وأساليبه. وللتدليل على هذه الخاصية المهمة، يتناول هذا البحث تركيب (ليس منا) التي وردت في متون السنة النبوية ضمن دلالة النفي لأفعال المكلفين.

هذا الجهد البسيط محاولة استقرائية جادة عرضت من خلالها التعددية الدلالية للفظ الواحد في إطار السياقات التشريعية المستنبطة من النص ضمن استقراءين:

الأول: **الدلالة الجزئية** والتي تناولت تعدد الدلالات في إطار اللفظ الواحد (ليس منا) وفق اختلاف السياقات الكلامية.

الثاني: الدلالة الكلية: والتي تضمنت المشتركات الدلالية لتركيب (ليس منا) في الحديث نفسه.

وهاك تحرير القول فيها ومن الله العون والتوفيق.

---

(١) النص والخطاب والإجراء، ٤١٣.

المبحث الأول

أثر السياق في دلالة الترغيب والتشـــــويق[1]

توطئة:

الحديث النبوي الشريف خطاب تعليمي يهدف إلى الإبانة والتبليغ وتمكَنِ الحقائق، وجمعه بين التعليم والإقناع والإمتاع تحت مَظَلَّة التبليـــغ جعـــل لـــه خصوصية بين أنواع الخطاب المختلفة، ومن ثمَّ تنوعت الأساليب التي توسل بها إلى تمكين الأمور التشريعية والحقائق الغيبية فـــي نفـــوس المخـــاطبين. والترغيب والتشويق هو طلب مشوب بلطف وتودد، وهو غرض معين علـــى تقبل الأمر من المخاطب في غاية الترفق.

والنبي ﷺ سلك هذا المسلك في تربيته لشخصية المسلم، وهذا نابع مـــن فهمه ﷺ لطبيعة النفس البشرية التي تحتاج دائمًا إلى الترغيب؛ لأن هذه النفس كما يقول أبو الفرج بن الجوزي: "كالماء الجاري فإنه يطلب الهبـــوط، وإنمـــا دفعه إلى فوق يحتاج إلى تكاليف، ولهذا أجاب معـــاون الشـــرع بالترغيـــب والترهيب ليقوي جند العقل"[2].

---

(١) **الترغيب:** "الرغْبُ، والرَّغْبَة، والرغبات والرغبة والرَّغْبـــي والرَّغْبـــاءُ: الضَّـــراعة والمَراغِبَ الأطماعُ". (لسان العرب، ٤٢٢/١، ر غ ب)، وهو: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه" (أصول الدعوة، د. عبـــدالكريم زيـــدان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٤هـ ــ١٩٩٣م، ٤٧٧).

أما الشوق، فيعني: "نزاع النفس إلى شيء، والشوق حركة الهوى، ويقال: شقَّ إذا أمرته أن يُشَوِّق إنسانًا إلى الآخرة، وشاقني شوقًا وشـــوقني: هـــاجني. (لســـان العـــرب، ١٩٢/١٠، ش و ق).

(٢) رصيد الخاطر، أبو الفرج الجوزي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م، ١٢.

وفيما يلي نماذج من أحاديثه ﷺ تبين فيها أثر السياق في دلالة الترغيب والتشويق محللة مشروحة:

١ــ عن زيد بن أرْقَمَ، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَارِبَهُ[١] فليْسَ مِنَّا"[٢]، وفي رواية أحمد في مسنده من حديث رجل من بني غِفَارٍ: أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ لم يحْلقْ عانَتَهُ ويُقَلِّمْ أَظْفَارَهُ وَيَجُزَّ شَارِبهُ فليس مِنَّا"[٣].

المعنى العام للحديث:

حث الإسلام على العناية بهيئة المسلم ونظافة مظهره عناية بالغة، حتى يكون متميزًا عن غيره من الكفار والمشركين، وفي هذا الحديث حث النبي ﷺ على الأخذ من الشارب وهو الشعر الذي ينبت على الشفة العليا، والمقصود إزالة ما طال من شعر على الشفتين بالقص، وقيل: يُحفيه، أي: يستقصي في الأخذ منه، (فليس منا) أي: ليس على طريقتنا، وليس موافقًا لسنة النبي ﷺ ، أو يكون ذلك زجرًا وتهديدًا لترك هذه السنة أن يموت على غير ملة الإسلام؛ لأن ذلك فيه تشبُه بالمجوس والكفار.

---

(١) **الشارب هو:** "الشعر الذي يسيل على الفم ويثني (شاربان) باعتبار الطرفين". (المصباح المنير، ٣٠٨/١، ش ر ب)، ويسمى كل جزء فيه باسمه، فقالوا كل جانب منه شاربًا، ثم يجمع على شوارب، وأما طرفا الشارب وهما السبالان فقيل هما من الشارب، ويشرع قصهما، وقيل هما من اللحية، وجمهور العلماء على أن قصه أو إحفاؤه سنة.

(٢) إسناده صحيح، رواه النسائي، ١٥/١ (١٣)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٧/٣٢ (١٩٢٦٣).

(٣) إسناده صحيح، أخرجه أحمد في مسنده ٤٦٤/٣٨ (٢٣٤٨٠)، والهيثمي، مجمع الزوائد ١٦٧/٥ (٨٨٥٤) برواية (أظافِرَة)، والهندي، كنز العمال ٦٥١/٦ (١٧٧٢٠).

التحليل السياقي:

قول الرسول ﷺ (ليس منا) ظاهر معناه اللغوي الخروج عن الملة، لكن المتمعن في هذا النص يتجلى له أن رسول الله ﷺ لم يقصد بهذا اللفظ معناه اللغوي، وإنما رشح السياق دلالة أخرى وهي قصد الترغيب.

هذا، وقد استند السياق في اصطفائه هذا المعنى إلى قرائن حالية ولغوية، **ومن القرائن الحالية:**

١ــ جاء هذا المعنى (الترغيب) في أسلوب النفي في تضاعيف الاسم الموصول (مَنْ)، مما يبعد الشبهة عن شخص بعينه صدر عنه هذا الفعل، وهذا من أدب الرسول ﷺ الكريم في محادثة أصحابه.

٢ــ جاء الفعل (يحلق) (بصيغة المضارعة)، دلالة على الاستمرار والتجديد والتحديث، وكان من الممكن أن يأتي ماضيًا، إلا أن التعبير بالمضارع له من الفائدة ما له، إذ فيه استحضار للصورة وهيئة الفعل، وهذا أبلغ في الدلالة وأتم في التأثير، ودافع قوي إلى اتباع سنة النبي ﷺ ومناسب لمقام الترغيب.

ومن القرائن اللغوية:

١ــ "إنْ قيل قَدْ قدّمْتُم الاتّفَاقَ على أنَّ حَلْقَ العَانةِ وتَقْليمَ الأظْفارِ سُنّةٌ وليس بواجب، فَمَا وَجْهُ قَوْله ﷺ فيما رواه أحمد في مسنده من حديث رَجُلٍ مَنَ بَني غِفَارٍ "مَنْ لَمْ يَحْلِقُ عَانَتَهُ ويُقَلِّمْ أَظْفَارَهُ وَيَجُزَّ شَارِبَهُ فليسَ مِنَّا"، وهذا يَدُلُّ على وُجُوبِهِ ذلك.

والجواب عَنَه وجْهَين:

أحدهما: إن هذا لا يثْبُتُ؛ لأن في إِسْنَادِهِ اِبْنُ لَهِيعَةَ والكلامُ فيهِ مَعْرُوفٌ، وإنَّمَا يَثْبُتُ مِنْهُ الأَخْذُ مِنْ الشَّارب فقط[١] كما رواه الترمذي وصححه[٢]،

---

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) الترمذي، ٩٣/٥ (٢٧٦١).

والنسائي من حديث زيد بن أَرقَم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"مَنْ لَمْ يأْخُذْ من شارِبِه فليَس مِنَّا"**(١).

والثاني: أن المَراد على تقديرِ ثبوتِهِ ليس على سُنَّتِنا وطريقَتِنا لقوله ﷺ: **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغنَّ بالقُرآنِ"**(٢)، فهذا هو المراد قطعًا، والله أعلم"(٣).

٢ــ أَمْرُهُ ﷺ بذلك محمول على الندب بقرينة أن الأمر بذلك للنظافة وتحسين الهيئة، والنفس تميل إلى ذلك وتدعو إليه، فلم تحتج إلى أمر إيجاب، والندب كاف في ذلك. وقد جاء من الأحاديث ما يفيد ذلك المعنى، منها حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال: **"مِنَ الفِطْرَة: حَلْقُ العانَةِ، وتقلِيمُ الأظفارِ وقصُّ الشَّاربِ"**(٤)، **وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ: "عَشْرٌ من الفِطَرةِ قَصُّ الشَّاربِ وإِعفَاءُ اللِّحية..."**(٥).

فهذه قرائن دلت على أن المعنى المراد هنا الحض على فعل الشيء والترغيب فيه، وذلك "بإخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء للعواطف ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب"(٦).

---

(١) النسائي، ١٥/١ (١٣).

(٢) صحيح البخاري، ١٥٤/٩ (٧٥٢٧).

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل العرابي، الطبعة المصرية القديمة، ٨٢/٢ (فائدة من لم يحلق عانته ويقلم أظفاره ويجز شارِبَهُ).

(٤) صحيح البخاري ١٦٠/٧ (٥٨٩٠) (الفطرة: السنة القديمة التي اختارها الأنبياء ــ عليهم السلام ــ واتفقت عليها الشرائع فكأنها أمر جبلي فطروا عليه. (فتح الباري، ٣٣٥/١٠).

(٥) مسلم، ١٢٢٣/١ (٢٦١).

(٦) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ٤٦٤.

ويتولد هذا القصد التعليمي من القصد العام الذي جاءت به السنة النبوية دون استثناء لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وتهذيب سلوكياتهم، وإصلاح أحوالهم.

وتأسيسًا على ذلك: يكون الإنسان مترقبًا لما سيحدث من عدم الأخذ من الشارب، وهذه الحالة توجب حذف هذه الفوائد؛ لأن التصريح بذكر هذه الفوائد يثقل الأسلوب، ولا يكسبه فائدة، وهذا ما انسجم مع سياق الحديث النبوي، فجاء التناسب بين تركيب (ليس منا) في سياق الترغيب من أبرز وجوه التناسب النبوي وتناسقه، فقد مثلت أبعادًا دلالية مترامية الأهداف، ومنهجًا بيانيًا عن الفائدة التي اكتسبها المسلم بالأخذ من شاربه.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: "ولا بأس بترك سَبالِيْهِ وهما طرفا الشارب، فعل ذلك عمر ﷺ وغيره؛ لأن ذلك لا يَسْتُرُ الفمَ ولا يُبقى فيه غمر الطعامِ إذ لا يصلُ إليه"(١).

هذا وقد أثمر هذا التأويل السياقي عن فائدة، وهي حث المسلم على ضرورة الامتثال بالخلق القويم الذي دعا إليه القرآن الكريم، فقد جاء النفي دالاً على أن هذه السِمِّة محببة.

٢ـ عن أبي لُبَابَةَ بشير بن عبد المنذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من لم يتغن بالقرآن فليس مني"(٢).

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ١/١٤٠.

(٢) رواه أبو داود ٢/٧٤ (١٤٧١)، وسنده صحيح، وهو عند البخاري في صحيحه، ٩/١٥٤ (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة بنحوه

المعنى العام للحديث:

من الهدي النبوي الشريف تحسين الصوت بالقرآن الكريم؛ لأن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا وبهاءً، وتأثيرًا في السامعين. وكأن رسول الله ﷺ يقول: ليس على هدينا وطريقتنا من قرأ القرآن ولم يُحسِّن صوته بتلاوته.

التحليل السياقي:

ـ قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: في استحباب تحسين الصوت بالقراءة: "أجمع العلماء ـ رضي الله عنهم ـ من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها وأقوالهم وأفعالهم، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ مستفيضة عن الخاصة والعامة كحديث البراء بن عازب ﷺ قال: **قال رسول الله ﷺ : "زَيِّنُواْ القرآن بأصْواتِكُم"**(١)، وحديث عن أبي مُوسى ﷺ **عن النبي ﷺ قال لَهُ: "يا أَبا موسى لَقَد أُوتيت مِزْمارًا مِنْ مزامير آل داود"**(٢)، وحديث عن أبي هريرة ﷺ أنه سمِعَ النبي ﷺ يقولُ: **"مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ ما أَذِنَ لنَّبيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يتغنى بالقرآنِ يَجْهَرُ به"**(٣)،(٤)، وحديث: عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: **قال رسول الله ﷺ : "لله أشد أذنًا إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته"**،

---

(١) صحيح البخاري ١٥٨/٩ (٧٥٤٣).

(٢) صحيح البخاري ١٩٥/٦ (٥٠٤٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١٥٨/٩ (٧٥٤٤)، ومسلم في صحيحه (٧٩٢)، وسنن أبي داود ٧٥/٢ (١٤٧٣).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن، الإمام النووي، حققه: محمد الحجار، ط٣، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ١٠٩/١.

ورواية أخرى للحديث:

قال الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ حدثنا إسحاق أبو عاصم، أخبرنا بن جريح، أخبرنا بن شهاب عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغنَّ بالقُرآنِ"**، وزاد غيرُهُ: **"يَجْهَرُ بِهِ"**(١).

فسر يتغنى بمعنى يستغنى، وهو فهم البخاري، وهو فهم وإن خالفه كثير من أهل الحديث، إلا أن له شواهد، كقوله ﷺ في حديث الخيل: "... ورَجُل رَبَطها تَغَنِّيًا وتَعَفُّفًا..."(٢)، أو يكون يتغنى بمعنى الجهر وحُسن الصوت.

فعلى أي حال إن أخذ الآخذ بفهم البخاري للحديث أن يتغنى بمعنى يستغنى صح الحديث، يقتضي الترغيب فيه، ولم يرد إخراجه عن الإسلام، ومعناه: ليس بآخذ سنتنا ولا مُقْتَدٍ بنا(٣).

التنظير بين روايات الحديث:

المراد بالتغني: هو تحسين الصوت بالقراءة، قال النووي: "وقوله: يتغنى بالقرآن ــ معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون: يحسِّن صوته به"(٤). وعن سفيان بن عُيَيْنة: يستغني به، قيل: يستغنى به عن الناس"(٥).

---

(١) صحيح البخاري ١٥٤/١ (٧٥٢٧).

(٢) صحيح البخاري ١١٣/٣ (٢٣٧١)، رواه الإمام أحمد ٥٣٣/١٤ (٨٩٧٧)، وأبو داود ٧٤/٢ (١٤٧١)، والحاكم ٧٥٨/١٠، وابن حبان ٣٢٧/١، والدارمي ٥٧٤/٣ (٢٤٧٢) وغيرهم عن طريق بن أبي مليكة عن عبيد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٨١/٢، باب: (ليجعل في صلاته وترًا).

(٤) شرح مسلم ٧٨/٦، باب: (استحباب تحسين الصوت بالقرآن).

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٥٨١/٢.

قال القاضي عياض: القولان منقولان عن ابن عُيَيْنة، قال: "يقال: تغنيت تَغَنيًا وتغنيتُ بمعنى استغنيت"(١).

وقال الشافعي وموافقوه: معناه تحزين القراءة وترقيقها، واستدلوا بالحديث الآخر: **"زَيِّنُواْ القُرآنَ بأصْوَاتِكُمْ"**(٢).

قال الهروي: "معنى يتغنى به: يجهر به، وأنكر أبو جعفر الطبري تفسير من قال: يستغنى به وخطأه من حيث اللغة والمعنى، والخلاف جار في الحديث الآخر: **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغنَّ بالقُرآنِ"**، والصحيح أنه من تحسين الصوت ويؤيده الرواية الأخرى يتغنى بالقرآن: يجهر به(٣).

ويرجح معنى يتغنى: يستغنى.

ـ قول الحافظ بن حجر: يتغنى: يستغنى ـ كذا فسره سفيان، ويستأنس بما أخرجه أبو داود، وابن الضريس، وصححه أبو عوانة عن ابن أبي مُلَيْكَةَ عن عبيد الله بن أبي نهيك، قال: لقيني سعد بن أبي وقاص في السوق، فقال: تجار كبسة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لَيْسَ مِنَّا من لم يَتَغنَّ بالقرآن"(٤).

ـ ارتضى أبو عبيد تفسير يتغنى بـ: يستغنى، وقال إنه جائز في كلام العرب، وأشعارهم، وأنشد الأعشى:

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي بن عياش، المكتبة العتيقة ودار التراث، ١٣٧/٢.

(٢) إسناده صحيح، رواه الترمذي، وأبو داود: ٧٤/٢ (١٤٦٨)، وأحمد ٤٥١/٣٠ (١٨٤٩٤)، والدارمي٢١٩٣/٤ (٣٥٤٣)..

(٣) شرح النووي، ٧٩/٦، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٢٥٨/١٠ (باب من لم يتغن بالقرآن).

وكُنْتُ امْرأً زَمنًا بالعِراق عَفِيفَ المُناخِ طَويلَ التَّغَنْ[1]

أي: يريد الاستغناء أو الغنى[2].

فعلى هذا يكون المعنى: من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا فليس منا، أي على طريقتنا.

فالتغني هو الاستغناء أو الغنى، وقال أبو عبيد "إن معنى الحديث: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدًا من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها، ولو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس أنه الترجيع بالقراءة وحُسْنُ الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون: من لم يرجع صوته بالقرآن فليس من النبي ﷺ حين قال: **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتغَنَّ بالقُرآن"**، وهذا لا وجه له[3].

قلت: ليس المعنى الصحيح دائمًا ما قد يبادر الذهن ويوافق العادة، وبهذا يمكن الجمع بين الروايات في معنى واحد، وهو: ما استمع الله لشيء، وحثَّ على استماعه كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن، فبعض الروايات دالة على فعله، والبعض الآخر، حث على الاقتداء به ﷺ.

وبناءً على ما سبق، إن المعنى الدلالي يكمن في: ليس من منهجنا أو سنتنا أو طريقتنا، وهو مكون ــ المعنى الدلالي ــ من معنى مقالي يجسده السياق الدال على الترغيب في تحسين الصوت بالتلاوة، ويدعمه قرنيتين:

---

(١) من المتقارب، والبيت للأعشى الكبير، ميمون قيس، شرح وتعليق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٥٠م، ٢٥.

(٢) غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، دائرة المعارف، ط١، ١٣٨٤هـ ــ١٩٦٤م، ١٧٢/٢.

(٣) المصدر السابق، ١٧١/٢.

الأولى ــ القرينة الحالية:

ــ بالعودة إلى السياق الخارجي للنص النبوي يتبين لنا من خلال سبب ورود الحديث دلالته ومعناه.

"أخبر إبراهيم بن فراس قال: سألْتُ ابنَ الأعرابيّ عن هذا؟ فقَــال: إنّ العرب كانت تتغَنَّى بالرُّكْبَانيِّ وهو النَّشيد بالتَّمطِيط والمَدِّ إذا رَكِبت الإبِل وإذا انبطحَّت على الأرْضِ وإذا جَلَسَتْ في الأفْنِية وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحبَّ النبي ﷺ أن يكون القرآن هِجِّيراهُم مكان التغني بالرُّكْبَانيِّ"(١).

حَدَّثَنا عَبْدُ الأعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدثَّنَا عَبْدُ الجَبَّار بن الوَرْدِ، قال: سمعتُ ابنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، يقول: قال عُبيدُ الله بنُ أبي يَزيَد: مَرَّ بنا أبو لُبَابَةَ فاتَّبَعْنَاه حَتَّىَ دَخَلَ بَيْتَهُ، فَدِخَلْنا عليه، فإذا رَجُل رَثُّ البيتِ، رَثُّ الهَيْئَةِ، فســمعتُهُ يقــولُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقرآن"، قال: فقُلتُ لابنِ أبيِ مُلَيْكَةَ: يا أبا مُحَمَّدٍ، أرأَيْتَ إذَا لم يَكُنْ حَسَنَ الصَّوتِ؟ قال: "يَحُسِّنُهُ مــا استطاع"(٢).

فسياق الموقف يبين لنا الحالة التي كان عليها المخاطب والظرف الــذي أدى بالمتكلم (الرسول ﷺ) إلى سياق حديثه، إضافة إلى أهميته في فهم النص النبوي.

الثانية ــ القرينة اللغوية:

ــ بمقارنة الدلالة اللغوية للفظة (يتغنى) والتوظيف النصــي لهــا، تبــين أن المعني اللغوي (يتغنى) موجود في النص وأصابه بعض التطور والتوســع الخاص، ولكن بتوظيف مختلف في السياقات المتعددة والمختلفة.

ــ أثمر هذا التأويل السياقي عن فائدة، وهي: كثيرًا ما يأتي التشويق في مقام

---

(١) غريب الحديث، الخطابي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م، ٣٥٨/١.

(٢) سنن أبي داود، ٧٤/٢ (١٤٧١).

التعليم، حيث يكون المخاطب جاهلاً بالخبر، وحريصًا على المعرفة، فيكون لتركيب (ليس منا) وقع في نفس المخاطب فيستمليه ويدفعه إلى الحرص على التعلم والرغبة في تحصيله، خاصة إذا كان من أهل الحرص عليه، والصحابة ــ رضي الله عنهم ــ كانوا حريصين على تعلم أمور دينهم من رسول الله ﷺ.

ــ النفس الإنسانية غالبًا ما تستجيب للإثارة، فرسول الله ﷺ استعمل تركيب النفي (ليس منا) ليستفهم الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ عن شيء لا يعرفونه تشويقًا لهم إلى معرفته، والتساؤل عنه أيضًا، يسألهم عن الشيء المعلوم دلالته عندهم ليضيف إليه دلالة جديدة هي أولى من الدلالة الأولى المعهودة لديهم، فيشعر الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ أن النبي ﷺ سيضيف شيئًا؛ ولهذا تراهم يحترسون في السؤال، وأيضًا رغبة منه ﷺ في أن يستثير رغبتهم في التعلم والمعرفة.

٣ــ عن أنسِ بنَ مالك ﷺ يقُولُ: ... جَاءَ ثَلاثَةُ رهْط إلى بُيُوتِ أَزوَاجِ النَّبيِّ ﷺ يسأَلُونَ عن عَبادَةِ النَّبيِّ ﷺ ، فلمَّا أُخبِرُواْ كأَنّهُمْ تَقالُّوها، فقالُواْ: وأَيْنَ نحنُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِر اللهُ له ما تقدَّمَ من ذَنبِه وما تأَخَر، قال أَحَدُهُم: أَمَّا أَنَّا فإِنِّي أُصلِّي اللَّيْلَ أبدًا، وقال آخَرُ: أَنَّا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخرُ: أَنَّا أَعتَزِلُ النِّساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجَاءَ رسولُ الله ﷺ إليهمْ، فقَال: "أَنتُمُ الذِّين قُلتُم كَذَا وكذا؟ أَمَا واللهِ إنِّي لأَخْشَاكُم لله وأَتْقَاكُم له ولكنِّي: أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصلِّي وأَرقُدُ، وأَتزوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رغِبَ عن سُنَّتي فليَس منِّي"(١).

وفي رواية ابن ماجه من حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن النبيﷺ قال: "النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فلَيْسَ مِنِّي ..."(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢/٧ (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه ١٠٢٠/٢ (١٤٠١)، والنسائي في سننه ٦٠/٦ (٣٢١٧).

(٢) سنن ابن ماجه، ٥٩٢/١ (١٨٤٦).

المعنى العام للحديث:

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ "والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني .. وطريقة النبي ﷺ الحنفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس، وتكثير النسل"(١)، فرسول الله ﷺ يرغب في الزواج رجاء البر والعفاف وزيادة الرزق، ووجود النسل، فاستخدم تركيب (ليس منا) وإن كان ظاهر معناها يوحي بالخروج عن الدين والملة، ولكن المتعمن في سياق النص يتجلى له أن رسول الله ﷺ لم يقصد بهذا التركيب معناها اللغوي، وإنما رشح السياق دلالة أخرى هي الترغيب.

قال ابن حجر: "قوله ﷺ (ليس مني) إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى ليس مني: أي على طريقتي، ولا يلزم أنه يخرج عن الملة، وإن كان إعراضًا وتنطعًا يفضي إلى اعتقاد أحجية عمله، فمعنى ليس مني: ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر"(٢).

التحليل السياقي:

تعُّد المشاركة إحدى الخصائص الأساسية للتفاعل الحواري على اعتبار أنها "تفعِّل إرادة القول لدى أطراف الحوار، وهي المؤطرة لعناصره بين ممثلي الخطاب"(٣)، فلولاها ما انتظم أي تواصل بين أطراف الحوار.

والرسول ﷺ يحرص أن يظل دائمًا وثيق الصلة بمخاطبه يفسر له ويطلب منه النظر، وغايته: إقناع المخاطب من دون أن يجبر على قبول الحكم ولو مكرها وكل ذلك من أجل مبدأ التشارك والتعاون.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/٩.
(٢) المصدر السابق ١٠٦/٩.
(٣) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: دراسة تطبيقية في اللسانيات (التداولية)، محمد نظيف، مؤسسة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٧.

ولعل بنية هذا النص الحواري القائم على أساس (التشارك) هي المقصودة والتي تمت بطريقة هادئة، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "لأن القصد في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصد الفائدة طبقًا لسنن المواضعة العامة في جهاز تلك اللغة مع تكريس مظهر من مظاهرها العملية في الممارسة"(١).

ومن مظاهر تكريس مبدأ التعاون في حديثه ﷺ أنه ﷺ يسأل ويجيب في آن واحد (أأنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟)، وهنا نجده ﷺ يجسد مخطط العملية التواصلية عبر أطراف المرسل والمرسل إليه، وبالتالي يخرج من توظيف اللغة كنظام إلى بيان واقعها الخارجي، أو (السياق). من هنا أصبح تركيب (ليس منا) يعني دلالة (الترغيب) وليس الخروج عن الدين والملة، واعتمد المعنى في ذلك على قرينة لغوية من حيث:

١ــ دلالة الفاء في التركيب للنص النبوي في قوله ﷺ (فمن رغب...) فهي تدل على ترتيب معانيها في الوجود، أو تفاوت الموضوعات، ثم يترك المسألة مفتوحة للقارئ، فتركيب (ليس منا) لا يتلاءم مع الروية والتفكير لسياق النص بمفهومه اللغوي، فالسياق هو الذي حدد المقصد وتباين المعنى.

٢ــ تعبيره ﷺ بأفعال المضارعة (أصوم، أفطر، أصلي، أرقد، أتزوج)؛ لأنه ﷺ قصد أن يصور لقومه الحالة التي هو عليها، وكأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، وهنا يكمن دور السياق ومدى ملائمة الأفعال للمقام، وفي فحوى هذه الأفعال دليل على التعجب من غير لفظ التعجب.

(١) المستصفي في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٢٣هـ، ٨٥/١ (بتصرف).

"وبناءً على مذهب من يرى أن الكلام تعبير عما في الخارج تكون الحاجة إلى السياق أمس؛ لأن السياق هو الذي يحدد المعنى الدقيق لكل حالة تقع في الخارج بواسطة القرائن المقالية والحالية"(١).

هذا، وقد أفاد السياق:

إرادة النبي ﷺ من هذا الحديث تعليم الصحابة، وتعليمنا الاقتصاد في الطاقة حتى لا تنقطع؛ لأن عبادة الله ــ جل وعلا ــ ليس بالكم والكثرة، وإنما بالكيفية التي نعبده بها ــ جل وعلا ــ ونطيعه ونتبع أوامره كما أراد لنا سبحانه وتعالى على منهج الرسول ﷺ ، وفي هذا قال الحافظ بن حجر: "وفيه حث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها"(٢).

ولا شك أن هذا الأسلوب في التعليم أشد وقعًا، وأعمق أثرًا في النفس، من مجرد النصيحة أو الموعظة، التي تحدث دون أن تصاحبها مواقف عملية معينة تلفت النظر وتشد الانتباه.

٤ــ عن عبدالله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "الوِتْرُ(٣) حَقٌّ فمن لم يُوتِر فَلَيْسَ مِنَّا، الوِتْر حقٌ فمن لم يُوتِر فليس منَّا، الوتِرُ حقٌ فمن لم يُوتِر فليس منا"(٤).

---

(١) نظرية السياق" دراسة أصولية، نجم الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م، ٩٣.

(٢) فتح الباري ٣/٣٧.

(٣) **صلاة الوتر:** وهو أن يَصَلِّي مَثْنَى مَثْنَى، ثم يُصلِّي في آخرها ركعة مُفَردة، أو يُضيفها إلى ما قبلها من الركعات. (النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/١٤٧ و ت ر).

(٤) رواه أبو داود ٢/٦٢ (١٤١٩)، ورواه الحاكم مرفوعًا ١/٣٠٥ "الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا"، قاله ثلاث، وسنده حسن.

المعنى العام للحديث:

صلاة الوَتْر سنة مؤكدة من آكد سنن الصلاة، التي حث عليها النبي ﷺ ورغّب في عدم تركها، فمن لم يصلِّ الوَتْر فقد ترك سنة مؤكدة حث عليها النبي ﷺ لفضلها وأجرها الوافر، وكأنه ﷺ يقول: من لم يصل الوَتْر، فليس على سيرتنا ولا متمسكًا بسنتنا(١).

التحليل السياقي:

والحديث من باب الترغيب في سنة الوتر، وليس معناه أنه كافر، بل المعنى: أن ليس على سنتنا وطريقتنا، قال أبو داود: "معنى هذا الكلام التحريض على الوتر والترغيب فيه، وقوله ليس منا معناه من لم يوتر رغبة عن السنة فليس منا"(٢)، والسياق يؤيد هذا مستندًا على عدة قرائن:

١ــ **روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: "أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتَي الضُّحى، وأن أوتِرَ قبل أن أرقُد"(٣)، فالدلالة السياقية للنص غير الدلالة اللغوية لتركيب (ليس منا).**

٢ــ المداومة على سنة الوتر؛ لأنه ﷺ كرره (ثلاثًا) أي قاله ثلاثًا للتأكيد. قال الطيبي: "والتكرار لمزيد تقرير حقيقته ..."(٤).

---

(١) الترغيب والترهيب ٤٠٨/١.

(٢) شرح سنن أبي داود ٢٨٦/١ (باب استحباب الوتر)، وينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٥٨١/٢ (٣٩).

(٣) صحيح البخاري، ٢٥/٢ (٩٩٤)، وصحيح مسلم، ٤٩٨/١ (٧٢١).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن، (شرح الطيبي) الطيبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م، ١٢٢٢٧/٤ ، ١٢٢٨.

من هنا تبين: أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبين أهمية صلاة الوتر، وأن لا شيء يعدلها، استعمل تركيب (ليس منا) الدالة على المبالغة، وكررها، ليؤكد ويقرر في نفوس السامعين، فأراد ﷺ بتكريرها ذلك مزيد تقرير. قال الطيبي: "التكرار مقبول إذا ورد فيما يهتم بشأنه، إيقاظًا وتنبيهًا على تنبيه"(١)، فالتكرار للأمور التي تقرب العبد من ربه لينال رضاه والجنة.

ويبدواْ أن الكلام كان في سياق من شك في تشريع هذه الركعة، ولاسيما أن المتعارف في الصلاة أن أقلها ركعتان كما في صلاة الصبح، ونحوها من الصلوات المستحبة، وهذا لا يعني أن الوتر أصبح واجبًا، بل هو سنة مستحبة مؤكدة.

٥ـ "عن أنس بن مالك يقول: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ ليس منا من لم يَرْحَم صغيرنا ويُوَقِّر كبيرنا ويَأْمُر بالمعروفِ، ويَنْه عن المُنْكر"(٢).

المعنى العام للحديث:

الواو بمعنى أو، فالتحذير من كل منها وحده، فيتعين أن يعامل كل منها مما يليق به فيعطي الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه، ويعطي الكبير حقه من الشرف والتوقير(٣).

---

(١) الكاشف ١٣٦٦/٤، ١٣٦٨.

(٢) رواه الترمذي ٣٢٢/٤ (١٩٢٠) وسنده حسن، وفي الباب عن عباس عن أحمد ١٧٠/٤ (٢٣٢٩)، وعن أنس عند الترمذي (١٩١٩)، وعن عبادة بن الصامت عند أحمد ٣٢٣/٥، وزاد فيه "ويعرف لعالمنا"، وسنده حسن، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وفي رواية أبي داود "حق كبيرنا".

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ ، ٣٨٨/٥.

وفي روايات أخرى: عن عمرو بن شُعْيب، عن أبيه، عَنْ جَدِّه قال: قال رسول الله ﷺ : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرَنَا"(١).

ورواية ثالثة: قال ابنُ السَّرْح ــ عن النبي ﷺ ــ قال: "لَيْسَ مِنْا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا ويَعْرِفْ حَقَّ كبِيرَنَا"(٢).

ورواية رابعة: عن أبي أُمامة عن النبي ﷺ قال: "ليس منا من لم يَجِلَّ كبَيرَنَا ويَرْحَمْ صغيرَنَا ويعرِفَ لعالِمنا حقَه"(٣).

ورواية خامسة: عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرنَا، ويَرْحَمْ صغِيرَنا، ويُؤاخِي فِينَا وَيَزُورُ"(٤).

التحليل السياقي:

هذه الروايات جميعها من باب آداب المخالطات والمعاشرات للناس بعضهم مع بعض، فإن من الآداب الشرعية في ذلك، أن يوقر الصغير الكبير، وأن يرحم الكبير الصغير؛ ليحسن بذلك أخلاقهم، وينشأ المودة بينهم، ولهذا أكده ﷺ بقوله: (ليس منا) يعني متأدبًا بآدابنا، قال بعض أهل العلم: "معنى قول النبي ﷺ : "ليس منا" يقول: ليس من سنتنا، ليس من أدبنا"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٢٢٤ (١٩٢٠)

(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ٣٠٨/٨، (٨١٥٤)، ورواه أبو داود، ٢٨٦/٤ (٤٩٤٣).

(٣) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ١٦٧/٨ (٧٧٠٣)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، ٥٤٤٤.

(٤) رواه الطبراني، الأوسط ، ١٠٧/٥ (٤٨١٢).

(٥) سنن الترمذي، ٣٢٢/٤ (١٩٢١).

وبادئ ذي بدء، نقول: لماذا اهتم الرسول الكريم ﷺ بهذه الشرائح من المجتمع، وأمر الأمة الاهتمام بها، فقال: (ليس منا)؟، وماذا يترتب لو أهملت، هل سيكون ضررها كبيرًا على المجتمع الإسلامي؟.

هي: رحمته ﷺ فليس على هديه وطريقته وأخلاقه من لم يرحم الصغير، ويحترم الكبير؛ لهذا شدَّد رسول الله ﷺ فقال: (ليس منا)، أي: ليس من المسلمين المتمسكين بالسنة الملازمين لها، فهي تركيب لا تعني خروج الشخص من الإسلام والملة.

ولو تتبعنا معاني الكلمات (رحم، جلل، وقّر) في معجماتنا اللغوية[1]، نلاحظ ما يأتي:

١ــ هذه الأحاديث وما ينطوي تحتها من دلالات هامشية يفرضها الاستعمال والسياق، لا تخرج عن دائرة العطف والرعاية والاهتمام، فجاء الحديث ورواياته المتعددة تدور في هذه الدلالات معبرة عن الواقع الاجتماعي للمسلمين؛ وهي مُثل عُليا في النسيج الاجتماعي، ومتانة العلاقات والترابط بين أفراد المجتمع الواحد.

٢ــ تضافر رواية هذا الحديث الشريف مع الروايات الأخرى في الوزن وتساويها، فكونت نسيجًا موحدًا ومنوعًا: يجتمع فيها الأضداد (الصغير والكبير).

٣ــ تتآزر الألفاظ وتتساوى وتتنوع في الدلالة؛ وذلك يشعر بنوع من الراحة والمتعة التي يخلقها التنسيق والنظام والتوازن[2].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٢٣٠/١٢، ر ح م)، القاموس المحيط (٩٧٨/١، ج ل ل)، تاج العروس (٣٧٤/١٤، و ق ر).

(٢) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ ــ١٩٩٧م، ١٥٣.

٤ــ كل ما في القرينة الأولى موافق لما في القرينة الثانية، فـ(يرحم) توافق (يوقر)، و(الصغير) توافق (الكبير)، والنفس تميل إلى هذا التوافق وتركن إليه.

من هنا، تكون الاستجابة أسرع، والتأثير أبلغ، فيتمكن القول من ذهن المخاطب أو السامع وهم الصحابة، وهم مصدقون وعارفون بكون النبي ﷺ أتقاهم وأعلمهم، فالنفي هنا لغاية تعزيز هذا الأمر في نفوس الصحابة وغيرهم من المؤمنين، فاستخدم النبي ﷺ النفي لتأكيد هذه الغاية والكشف عن حقيقة مستقبلية حاصلة لا محالة، حتى لا يظن السامع أن الأمر تنبؤ أو تخمين فقط فيستخدم ﷺ النفي؛ ليجعل من قوله حقيقة قائمة تثبت الحكم وتوطده في نفس السامع أو المخاطب.

هذا، وقد أثمر هذا التأويل السياقي عن حقيقة مفادها:

١ــ أفاد الحديث التنبيه والتشويق، فهذه الحالة العاطفية التي يراها الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ رأي العين جعلتهم يتعاطفون معها، فأي شخص يرى مثل هذا الصغير أو الكبير لا يسيطر على عينه أمام هذا الموقف، وهنا يستغل الرسول ﷺ هذا الموقف المؤثر ليُوصل فكرة عظيمة، وهي أنه يريد أن يثير انتباه السامعين إليها، فيقول ﷺ (ليس منا)، لكن النفي يثير التشويق إلى حده الأقصى، فتأتي الجملة لتريح الذهن من التوتر لسماع هذا الخبر. وقد توخى رسول الله ﷺ معنى الإثارة والتشويق في الحديث، وهيج شعور الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ بقوله: (ليس منا).

٢ــ أما سرّ اختيار تركيب (ليس منا) للتعبير عن هذه المعاني بدلاً من الإثبات، كأن يقول مثلاً: فلان في إيثار التعبير بالنفي ــ في هذا المقام ــ بلوغاً بالإثارة والشوق في نفوس السامعين إلى أقصى حد، فيستولى الرسول ﷺ على نفوس جميع سامعيه، أما أسلوب الخبر المثبت فقد لا يتحقق له ذلك؛ لأن صيغة النفي بطبيعتها صيغة فيها جذب للانتباه، فإذا اجتمع جذب الانتباه والتشويق بلغت الإثارة قيمتها.

٣ــ إن أسلوب (النفي) يحقق التواصل بين المتكلم والمتلقي، فيصبح المتلقي فاعلاً بدوره في الحوار، على عكس الأسلوب الخبري المثبت، حيث يكون المتلقي مستمعًا فحسب، دون وجود تفاعل مع المخاطب (المتكلم) ولا يلزم في الأحاديث التي يراد بها التشويق أن يجيب المتلقي بما يريد المتكلم (بما يوافق أغراض المتكلم) فالقصد من هذا الأسلوب استدراج المتلقي للانتباه إلى ما يلحق النص من كلام.

تعليق واستنتاج:

لقد توخىّ النبي ﷺ معنى الإثارة والتشويق في هذه الأحاديث من خلال الصورة الحسِّية، فنجد التعبير في هذه الأحاديث يتدرج بين مرحلتين:

الأولى: مرحلة حسية تكمن في تجسيم المعنى.

الثانية: مرحلة نفسيه أثارتها المرحلة الأولى بظلالها وإيحاءاتها.

فمكونات النص التجسيمية والدلالية أثارت مشاعر التلهف للوصول على ما تبتغيه النفس من مكاسب مادية، والأثر النفسي التابع وراء التركيب (ليس منا) ألقي بظلاله على المعنى المتجليّ بعد استيعاب الصورة الحسية.

المبحث الثاني

أثر السياق في دلالة الترهيب والتحذير[١]

توطئة:

من المؤثرات المتصلة بالمتلقي الترهيب والتحذير، ولعل إحدى غايات النفي الإبداعي هي: "إيقاظ كل المشاعر الخاصة والوجدان من كل نوع، وإشاعة الحياة فيها وملء القلب"[٢]، فيكون إيجاز الكلام بمثابة المنبه الذي يوقظ المتلقي، وينبهه إلى أمر خطير لابد من الحذر منه أو تفاديه؛ لذا حرص النبي ﷺ في عدد من أحاديث (ليس منا) على تنبيه المتلقي من أمر جلل يجب الاحتراز منه، فقدم له جداول تحذيرية حاصرته منذ البدء، حماية له وتجنبًا للضرر، ومن هذه الأحاديث التي أظهرت تلك الدلالة السياقية في دلالة الترهيب والتحذير.

١ــ عن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ : "ليس مِنا من سلَقَ، ومن حلَقَ، ومن خَرَقَ"[٣]،[٤].

---

(١) **الترهيب:** "هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق أو عدم الثبات على قبوله". (أصول الدعوة، ٤٣٧).
التحذير: "تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه". (شرح ابن عقيل، ٢٦٧).

(٢) فلسفة الجمال والفن عند هيجل، د. عبدالرحمن بدوي، دار الشروق، ط١، ١٩٩٦م، ١٦.

(٣) **سلق:** أي رفع صوته عند المصيبة، وقيل: أن تصك المرأة وجهها، وأن تخدشه، ويقال: صلق بالصاد.
حلق: أي حلق شعره عند المصيبة إذا حلت به. **خرق:** أي شق ثيابه عند المصيبة.(عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، العيني، ٨٥/٨ (باب ما يكره من النياحة على الميت).

(٤) صحيح النسائي ٢١/٤ (١٨٦٦).

المعنى العام للحديث:

يوضح ﷺ بأنه ليس من أهل سنتنا من رفع صوته في المصيبة بالبكاء، ولا من حلق شعره وخرق ثوبه جزعًا على الميت"[1]؛ لأن في هذا سخط على قدر الله وعدم الرضى به.

التحليل السياقي:

جاء هذا الحديث النبوي عفو الخاطر، غير متكلف فيه، مناسبًا به حال المتلقي كخطاب موجه إلى النساء؛ إذ جانس الحديث الشريف بين (حلق وسلق وخرق) وهو من الجناس المزدوج[2]، وقد أطبقت المجانسات على حرف القاف فقط، مما يؤكد فيه على التصاق هذه الصفات التي ذكرها الرسول ﷺ ، فشأن هذا الحديث شأن أحاديث أخرى أخبر فيها النبي ﷺ عن هذه الأمور تحذيرًا لأمته ونهيهم عنها، وظاهر هذا الحديث الخروج عن الدين، أما من تبصر هذا النص الشريف تبين له أن هذا المعنى لا يراد وقوعه، ومن ثمَّ أعرض السياق عن هذا المعنى مستحسناً معنى آخر، وهو الترهيب والتحذير متكئًا على قرائن لغوية من حيث.

١ــ "لعن من النساء الحالقة والسالقة والخارقة"، ما رواه مسلم[3]، بسنده من حديث أبي بُرْدَة بْنُ أبي مُوسى ﷺ قال: "وَجِعَ أَبُو موسى وَجعًا شديدًا

---

(١) فيض القدير ٣٨٦/٥.

(٢) **الجناس المزدوج:** اتفاق اللفظين في جل الحروف أو كلها على وجه يتبادر للذهن منه أنهما يرجعان إلى أصل واحد وليسا في الحقيقة كذلك. (حاشية الدسوقي على شرح التفتازاني، القاهرة، ١٩٣٧م، ٤٣١).

(٣) صحيح مسلم، ١٠/١ (١٠٤).

فغشي عليه، ورَأْسُهُ في حَجْرِ امرأَةٍ مِنْ أَهلِهِ، فصاحتْ امرأةُ من أهله، فلم يستطعْ أن يرُدَّ عليها شَيئًا، فلمَّا أفَاق قال: أنا بريءُ مِمَّنَ بَرِيءَ منهُ رسولُ الله ﷺ إنْ رسول الله ﷺ بَرِئَ من الصَّالِقَة، والحالِقَةِ، والشَّاقَّة[1]**"**[2].

قال ابن دقيق العيد ــ رحمه الله ــ: "الصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة فيه دليل على تحريم هذه الأفعال، والأصل **"السالقة"**: بالسين: وهو رفع الصوت بالعويل والنَّدب وقريب منه: قوله تعالى: ﴿**سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾[3]؛ والصاد قد تُبَّدل من السين؛ و**"الحالقة"**: حالقة الشَّعر، وفي معناه: قَطْعُه من غير حلَقٍ. و**"الشاقة"**: شاقة الجَيْبْ، وكل هذه الأفعال مُشْعِر بعدم الرِّضى بالقضاء والتسخط له"[4].

٢ــ يظهر أن هذا النفي يفسره التبرِّي في حديث أبي موسى: "أنا برئ ممن حلقَ وسلقَ وخرقَ"، حيث قال: برئ منه النبي ﷺ وأصل البراءة الانفصال عن الشيء وكأنه توعده بأن لا يدخله في شفاعته مثلاً، وقال

---

(١) **الصالقة:** التي ترفع صوتها عند المصيبة بالنوح والعويل.
والحالقة: التي تحلق شعرها أو تنتفه من شدة الجزع والهلع.
والشاقة: التي تشق جيبها أو ثوبها تسخطًا في قضاء الله. (تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ٢٨٨/١).

(٢) صحيح البخاري ٨١/٢ (١٢٩٦)، وصحيح مسلم ١٠٠/١ (١٠٤)، وسنن أبي داود ١٩٤/٣ (٣١٣٠)، وسنن النسائي ٢٠/٤ (١٨٦١)، وروايته: إلا أنه قال: **"أبرَأُ إليكمُ كما بَرِئَ رسول الله ﷺ : "ليس منَّا من حَلَقَ ولا خَرَقَ ولا سَلَقَ"**.

(٣) سورة الأحزاب: من الآية (١٩).

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، ٣٧١ (حديث رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة).

المهلب وقوله: أنا برئ أي من فاعل ما ذُكر وقت ذلك الفعل، ولم يرد نفيه عن الإسلام، وهذا يدل على تحريم ما ذُكر من شق الجيوب وغيره، وكأن السبب في ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء، فإن وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلاً بما وقع فلا مانع من حمل النفي على الإخراج من الدين(١).

٣ـ قال أبو موسى، إن رسول الله ﷺ برئ من "الصَّالقة والحالقة والشاقة"، قال المهلب: قوله (برئ منه) أي لم يرض بفعله فهو منه برئ في وقت ذلك الفعل؛ لا أنه برئ من الإسلام.

٤ـ قال الزَّيْنُ بن المنير أفردَ هذه القدر بترجمة ليُشعِر بأن النفي الذي حاصله التبرئ يقع بكل واحد من المذكورات لا مجموعها. قلتُ: ويؤيده رواية لمسلم بلفظ أو شقّ الجيوب أو دعا ... إلخ(٢).

٥ـ الذي يؤكد أن هذه الأعمال المذكورة إنما هي ورادة على سبيل الترهيب والتحذير لا النفي، أن النبي ﷺ ذكر غير هذه المظاهر بما يتنافى مع الإسلام عقيدة وأخلاقًا وسلوكًا، فشأن هذا الحديث شأن أحاديث أخرى أخبر فيها النبي ﷺ عن أمور منكرة تقع في الأمة يذكرها النبي ﷺ تحذيرًا لأمته، وينهاها عنها.

روي عن يزيدَ بن أَوْسٍ، قال: "دَخَلْتُ على أبي موسى وهو ثَقِيلُ(٣)، فذهبتَ امرأتُهُ لِتبكيَ، أو تَهُمُّ به(٤)، فقال لها أبو موسى: أما سمعت ما قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٦٤/٣، (باب ليس منا من شق الجيوب).
(٢) المصدر السابق، ١٦٣/٣ (باب ليس منا من شق الجيوب).
(٣) يقال: ثَقُل الرجلُ ثِقلا، فهو ثقيل وثاقل: اشتد مرَضُه. (لسان العرب، ٨٥/١١، ث ق ل)، وينظر: شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني، ٥٧/٦.
(٤) أي: بالبكاء. (شرح سنن أبي داود، العيني ٥٧/٦).

رسول الله ﷺ ؟ قالت: بلى، قال: فسكَتَتْ فلما ماتَ أبو موسى، قال يزيدُ: لَقِيتُ المرأةُ، فقلتُ لها: ما قولُ أبي موسى لك أما سمعْتِ قول رسول الله ﷺ ثم سَكتِّ؟ قالت: قال رسول الله ﷺ : ليس منا من حَلَقَ، ومن سَلَق، ومن خَرَق[1]".

هذا، وقد أثمر هذا التوجيه السياقي بعض الفوائد التي تتمثل في:

١ــ النهي عن البكاء على الميت إذا صاحبه صوت ونوح، وقول ما لا يرضى الله ــ عز وجل ــ فهذا مما نهى عنه النبي ﷺ جاء ذلك في إحدى روايات الحديث: عن المغيرة ﷺ قال: سمعت النبيِّ ﷺ يقول: **"مَنْ نِيحَ عليهِ يُعَذَبْ بما نِيحَ عليهِ"[2]**، ويزيده وضوحًا قول النبي ﷺ : **"إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ بدمْعِ العَيْنِ ولا بِحُزْنِ القلْبِ، ولكِنْ يُعِذّبُ بهذا ــ وأشار إلى لسانِه ــ أو يرحَمُ"[3]**.

٢ــ "الاستعانة في ترجيح الدلالة الإفرادية من خلال سياق الروايات الحديثية الأخرى، باعتبار أن أفضل طريقة لتفسير الحديث تفسيره من خلال حديث آخر، فالأحاديث نص سياقي واحد، ما أُجمل في مكان فُصّل في غيره، وهذا الكلام يتناسب مع ما يقول به الدرس اللغوي الحديث، حيث لم يقنع بالنظير في علاقة الجملة بالجملة، وإنما تجاوزها إلى علاقة النص بالنص، فيما يسمى عندهم بالتناص"[4].

٣ــ كشف لنا النص أيضًا عن دور السياق اللغوي في تحقيق الهدف المنشود والتغيير في كثير من سلوكيات وعادات العرب قبل الإسلام، ووضعهم في المنهج الصحيح الذي يشمل جميع مجالات الحياة من أمور تتصل بالعبادة وأخرى بالعادة، وهذا من شأنه أن يجعل المجتمع المسلم موجه

---

(١) سنن أبي داود ١٩٤/٣ (٣١٣٢).
(٢) صحيح البخاري، ٨٠/٢ (١٢٩١).
(٣) صحيح مسلم، ٦٣٦/٢ (٩٢٤).
(٤) اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ٣١٥.

إلى حياة سليمة من كل فساد إلى ما هو صلاح وإصلاح، ومن المعلوم أن علائق الكلام وأنساب البيان لها من الروابط والمقامات ما للبشر من علائق وروابط وهو في عالم البيان أصدق منه في عالم الإنسان، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في قوله: "وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد"(١)، وهذا الحديث اقتضى معناه هذه الألفاظ وناسب اختيار المفردات للمقام الذي أتت فيه، إذ لا توجد لفظة توازي لفظة أخرى، أو تقوم مقامها في موضع ما.

٢ـ عن عَبْدِ اللهِ، قال: قال رسول الله ﷺ : "لَيْسَ منَّا مَنْ لَطَمَ(٢) الخُدُودَ(٣)، وشَقَّ الجُيُوب(٤)، ودَعَا بدعوى الجَاهلية(٥)"(٦).

---

(١) دلائل الإعجاز، ٥٣٩/٢.

(٢) **اللطم:** ضربك الخد وصفحة الجسد ببسط اليد، والضرب على الوجه بباطن الراحة. (لسان العرب، ٥٤٢/١٢، ل ط م).

(٣) **الخد:** في الوجه، والخدان: جانبا الوجه، وهما ما جاوزا مؤخر العين إلى منتهى الشدق. (لسان العرب، ١٦٠/٣، خ د د).

وضرب **الخدود:** لطم الإنسان خد نفسه على سبيل الهلع والجزع عند المصائب، فلا يشمل ضرب الإنسان خد غيره، فهو من قبيل العام المخصوص بحكم العُرف. (فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. بسام شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م، ٣٣٣/١).

(٤) **الجيوب:** بضم الجيم جمع جيب من جابه، أي قطعه، وكل مجوف قطعت وسطه فقد جبته، و(الجيب) ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس للبسه. (لسان العرب، ٢٨٥/١، ج و ب)، والمراد بشقه إكمال فتحة إلى آخره أو زيادتها على وجه الهلع والتسخط. (فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ٣٣٣/١).

(٥) **دعا بدعوى الجاهلية:** وهو ما كانوا يفعلونه من النياحة وندبة الميت والدعاء بالويل والثبور، وكقولهم: واجبلاه، واويلاه، واثبوراه. (فتح المنعم، ٣٣٣/١).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ٨١/٢ (١٢٩٤)، وصحيح مسلم، ٩٩/١ (١٠٣).

المعنى العام للحديث:

قوله: (ليس منا) أي ليس متأسيًا بسنتنا، ولا مقتديًا بنا، ولا متمثلاً لطريقتنا التي نحن عليها؛ لأن لطم الخد، وشق الجيوب من أفعال الجاهلية[١].

قال ابن حجر: "قوله: (ليس منا) أي من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته: لست منك ولست مني، أي ما أنت على طريقتي"[٢].

التحليل السياقي:

الواو العاطفة في قوله: (وشق الجيوب) وفي بقية الحديث بمعنى (أو). يقول الإمام العيني: "مثلت الأشياء الثلاثة المذكورة بالواو وهي لمطلق الجمع، قلت: (الواو) بمعنى (أو)، والدليل عليه ما رواه مسلم: **"لَيْسَ منَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ أو شَقَّ الجُيُوبَ أَوْ دَعا بدعْوَى الجاهليَّةِ"**[٣].

والغرض من إضافة هذه الأمور إلى الجاهلية، "التقبيح والتنفير؛ لأن كل إنسان يقال له: فعلك فعل الجاهلية لا شك أنه يغضب؛ إذ إنه لا أحد يرضى أن يوصف بالجهل، ولا بأن فعله من أفعال الجاهلية، فالغرض من الإضافة هنا أمران:

١ـ التنفير.

٢ـ بيان أن هذه الأمور كلها جهل وحمق بالإنسان، إذ ليست أهلاً بأن يراعيها الإنسان أو يعتني بها، فالذي يعتني بها جاهل"[٤].

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، باب: (ليس منا من شق الجيوب)، ٢٧٧/٣.

(٢) فتح الباري، ٢٣٨/٣.

(٣) صحيح مسلم، ٩٩/١ (١٠٣)، واللفظ للبخاري، ٨١/٢ (١٢٩٤).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ط الأخيرة، ١٤١٣هـ، ٦٠٠/١، ٢٠١.

والظاهر أن ذكر دعوى الجاهلية بعد ذكر الويل من العام بعد الخاص[١]، وسر بلاغة الحذف في (دعوى الجاهلية) تصفية العبارة وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها، وهذا الاختصار وحذف فضول الألفاظ يجري مجرى الأساس الذي بُنيتْ عليه الأساليب البليغة؛ لذلك نجد من البلاغيين من يقول: "والاحتراز من العبث بناء الظاهر"، وهي عبارة دقيقة وصادرة عن تفكير صادق؛ لأن ذكر الكلمة التي يدل عليها سياق الكلام ثقل وترهل في الأسلوب[٢]، وبذلك يكون النبي ﷺ حذر من دعوى الجاهلية بأوجز لفظ وأوفى معنى، وهذا من سماته البلاغية الجامعة للقصد والاستيفاء.

وقد ظهر في التحليل السابق لمعاني المفردات مراعاة المستوى الثقافي (الأعراف السائدة وما يحيط بالكلمة عند توجيهها من عادات القوم وتقاليدهم) في تحليل الكلمة، وهو عنصر مهم من عناصر سياق الحال، فهو يؤدي دورًا مهمًا في تحليل المعنى، وهذا يتفق مع ما ذكره اللغويون المحدثون، وفي ذلك يقول الدكتور تمام حسان: "تتنوع دلالة الكلمة تبعًا لصيغ أقسام الكلم، وتتنوع ثانيًا لبيئتها في السياق، ومن ثم لزم في الشرح المعجمي لمعاني المفردات أن يأتي الشارح بالشاهد أو المثال المشتمل على بيئة اللفظ في السياق؛ ليكون هذا الشاهد أو المثال قرينة على المعنى الذي نسب إليه اللفظ؛ لأن اللفظ الواحد تتعدد معناه في حال إفراده، ويظل قيد الاحتمال حتى يحدّده الشاهد أو المثال"[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، باب: (ليس منا من ضرب الخدود)، ١٦٦/٣.

(٢) خصائص التراكيب، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، ط٤، ١٤١٦هـ ـــ١٩٩٦م، ١٦٠.

(٣) اجتهادات لغوية، ٢٠٧.

وعلى هذا التفسير اللغوي يكون ظاهر معنى قوله ﷺ (ليس منا) إخراج من يفعل هذه الأفعال عن الدين، ولكن عند النظر إلى النص بروية وتمعن، يتبين أن السياق يأبى المعنى اللغوي لهذا التعبير، ويؤثر معنى آخر وهو المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك، أي ليس من أهل سنتنا وطريقتنا؛ ولأن هذه الأفعال (كانت شائعة في هذه البيئة حينئذ دون إرادة وقوع الأمر به)، هذا وقد اتكأ السياق في استحسانه هذا المعنى (قصد الترهيب والتحذير) على قرائن حالية ومقالية:

القرائن الحالية:

١ــ قال الزَّيْنُ بن المنير ما ملخَّصه التأويل الأول يستلزم أن يكون الخبر إنما ورد عن أمر وجودي، وهذا يصان كلام الشارع عن الحمل عليه والأولى أن يقال المراد أنَّ الواقع في ذلك يكون قد تعرض؛ لأن يُهجر أو يُعرض عنه، فلا يختلط بجماعة السُّنة تأديبًا له على استصحابه حالة الجاهلية التي قبحها الإسلام، فهذا أولى من الحمل على ما لا يُستفَاد منه قدْرُ زائد على الفعل الموجود.

٢ــ حُكي عن سفيان أنه كان يكرَهُ الخَوْضَ في تأويله ويقولُ: ينبغي أنْ يُمسَك عن ذلك؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر.

٣ــ قيل المعنى ليس على ديننا الكامل، أي أنه خرج من فرع من فروع الدين، وإن كان معه أصله، حكاه ابن العربي[١].

٤ــ السياق يقف على (ليس منا) المقترن بالفعل الماضي الذي يحتمل المستقبلية فهذه الصفات منهي عنها متى ما استمرت الحياة، وفي ذلك قدرة على التأثير والإقناع ارتبط بنوعية الموقف، والقدرة العقلية المتباينة للمخاطبين.

---

(١) شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١٦٣/٣، ١٦٤ (باب ليس منا من شقّ الجيوب).

القرائن اللغوية:

١ــ "قال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[١]، قال: **لا ينحن، ولا يشقّقن، ولا يخمشن، ولا ينشرن شعرًا، ولا يدعون ويلاً**"[٢]، وإنما نهي عما يدخل تحت الكَسْب من ضرب الخد وشق الجيب، ولم ينه عن البكاء والحزن.

٢ــ وجاء في موطن آخر محذرًا النساء من هذه الأفعال، ولكن بصيغة أشد قائلاً: "لا تلطمن خدًا، ولا تخمشن وجهًا، ولا تنتفن شعرًا، ولا تشققن جيبًا، ولا تسودن ثوبًا، ولا تدعين بويل"[٣].

ورود هذا التركيب على هذا التوازي يبقى في الآذان وقعًا محددًا يحتاج القارئ فيه إلى أن يتمعن في الصوت وليتنبه إلى إكمال المعنى معًا، فتلازم المعاني كان ذا معيارية دقيقة للرسول ﷺ ، فقد ابتدأ من الأهم وهو لطم الخدود، ثم شق الجيب، ثم الصراخ فـ"للتشكيل النحوي هنا وظيفتين مهمتين إذ يخدم البعد الإيقاعي بتكرار التراكيب وانتظامها من جانب، ويهدف من جانب آخر إلى تبليغ رسالة ما"[٤].

هذا، وقد أثمر هذا التوجيه السياقي الإرشاد إلى مصلحة دنيوية، فهذه الثلاثة (ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية) "إنما قصد بها التمثيل لا الحصر؛ لأنها هي التي كانت شائعة في هذه البيئة حينئذ، فيلحق بها

---

(١) سورة الممتحنة، من الآية (١٢).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٢٧٧/٣ (باب ليس منا من شق الجيوب).

(٣) فروع الكافي، أبو جعفر الكليني، دار الكتب الإسلامية، ٥٢٧/٥.

(٤) التوازي وأثره في الإيقاع والدلالة، سامح الرواشدة، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد ٢٤١٦، ١٩٩٨م، ١٩.

ما يجري في هذا الأيام في بعض البلاد من دهانٍ للوجه بالنيلة، واللون الأزرق، وخنق الرقبة بالثياب، والإمساك بطرفي الثوب بين اليدين، والولولة به، ورفع التراب على الرأس ونحو ذلك من مظاهر السخط وعدم الرضا بالقضاء"(١).

٣ـ عن الحارث بن يعقُوبَ عن عبد الرَّحمن بْنِ شماسَة أنَّ فُقَيْمًا اللَّخمِيَّ، قال لِقُعْبَةَ بن عامرٍ: تختلِفُ بَيْنَ هَذْينِ الغَرضَيْن وأنْتَ كبيرُ يَشُقُّ عليكَ، قال عُقبة: لولا كلامٌ سمعتُهُ منْ رسول الله ﷺ لم أُعَانِيهِ، قال الحارث: فقلتُ لابنِ شِماسَةَ وما ذَاكَ؟ قال: إنَّهُ قال: "مَنْ علِمَ الرَّمْيَ ثم تركَهُ فليْسَ منَّا" أو "قد عَصَى"(٢).

المعنى العام للحديث:

إن المسلم الذي يبذل جهدًا كبيرًا في تعلم الرمي، ثم بعد ذلك يتركه من غير عذر شرعي ليس على طريقتنا، أو ليس على ديننا الكامل، أو ليس من الصالحين(٣)، قوله: (ليس منا) أي ليس على سيرتنا؛ وهذا لأن الرمي من آلة الجهاد، فإذا تركه من علمه نسيه(٤).

يقول الإمام النووي: "هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر"(٥)، و"الترهيب من تركه بعد تعلمه رغبة عنه"(٦).

---

(١) فتح المنعم، ٣٣٣/٧.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، ١٥٢٢/٣ (١٩١٩).
(٣) الترغيب والترهيب، ٢٨٢/٢.
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، (من مسند عقبة بن عامر الجهني)، ١٤١/٤.
(٥) شرح صحيح مسلم، ٦٥/١٣ (باب فضل الرمي والحث عليه).
(٦) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ، ١٧٨/٢.

وحديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا قال: **"عَلَيْكُم بالرَّمْيِ فإنَّهُ خيرُ، أو من خَيْرِ لَهْوِكُمْ"**[1]؛ لذا تركه فيه من الوعيد الشديد الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ حيث قال: (ليس منا).

التحليل السياقي:

عند النظر في هذا النص النبوي الشريف يتضح أنه لمعرفة حقيقة معناه لابد من الاعتماد على القرائن، من جملتها دلالة السياق، فهي تقرر حقيقة المعنى وتحمله على ظاهره، ومن المقرر في الضوابط أن ما دل عليه السياق هو ظاهر الخطاب إلا بدليل. فعند التعارض يمكن ملاحظة قرائن السياق لتقرير الحقيقة المقصودة أو توكيد معنى الحقيقة.

ولتوضيح أثر السياق في ترك حقيقة معنى (ليس منا)، يمكن ذلك من خلال عدة قرائن حالية ولغوية، وهي:

القرائن الحالية:

اعتبار مراد المتكلم ولغة المخاطبين، وهو أحد الضوابط العامة للسياق كما تقدم، إذ تبين لنا أن النص لم يذكر لتعداد من علم الرمي ثم تركه، وإنما سيق لبيان أن من تعلم الرمي لا يتركه إلا إذا تعذر. فتبين بذلك أثر دلالة السياق في ترك حقيقة (ليس منا) وصرفها إلى الزجر والتحذير.

القرائن اللغوية:

ما روي عن سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَع ﷺ قال: مرّ النبي ﷺ على نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونِ، فقال: "ارْمُواْ بني إِسماعيلَ فإنَّ أباكُم كان راميًا"[2]**. الحديث،** وفي رواية ابن عباس: "**ارميا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا". والمعنى ارموا أو الزموا رميا).**

---

(١) رواه البزار، كشف الأستار، ٢٧٩/٢ (١٧٠١)، والطبراني في الأوسط، ٣٠٤/٢ (٢٠٤٩)، وقال: فإنه من خير لَعِبِكُم، وإسنادهما جيد قوي.

(٢) صحيح البخاري، ٣٨/٤ (٢٨٩٩)، ١٤٧/٤ (٣٣٧٣).

هذه الرواية الصحيحة واضحة الدلالة على المعنى المقصود بما تضمنت من أوامر مثبوتة، وإنكار شديد لإهمال الرمي بعد تعلمه، واعتبار ذلك من قبيل العصيان والتبرؤ من فاعله.

إن التعبير بالعصيان في الرواية الأخرى (أو قد عصى) من قرائن السياق اللغوية الذي يأبى المعنى اللغوي ويرفضه، ويدل على مكانة الرمي وأنه واجب؛ لأن العصيان لا يكون إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

إذًا الأدلة والقرائن متضافرة على فرضية معنى (ليس منا) وهو (الترهيب)، ومن هنا أفرز هذا التأويل السياقي بعض الفوائد:

١ــ دور الرماية وقيمتها في ميادين القتال "وفضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين ونكايته شديدة على الكافرين"(١).

٢ــ الحديث يدل على العموم، فالحديث لا ينفي كون غير الرمي معتبرًا، كما أن قوله ﷺ الحج عرفة، والندم توبة لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن هذا المذكور جزء شريف من المقصود فكذا هاهنا، وقال أبو حيان: "والظاهر العموم في كل ما يتقوى به على حرب العدو مما أورده المفسرون على سبيل الخصوص والمراد به التمثيل كالرمي ... إلخ"(٢).

تعليق واستنتاج:

أراد النبي ﷺ من هذه الأحاديث أن يثبت العديد من الصفات للمؤمن، فعدل عن التصريح بها إلى الإشارة إليها رمزًا مستخدمًا تركيب (ليس منا)؛ وبذلك أثبت للكلام مزية وفضلة لا تتأتى بالتصريح.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ــ١٩٦٤م، ٣٦/٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٤٣/٥.

يقول الجرجاني: "وكذلك إثباتك الصفة للشيء ثبتها له، إذا لم تُلْفِهِ إلى السامع صريحًا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزيَّة، ومن الحسن والرونق ما لا يقلُّ قليلهُ ولا يُجهَل موضعُ الفضيلة فيه"(١).

(١) دلائل الإعجاز، ٣٠٦/١.

المبحث الثالث

أثر السياق في دلالة التهديد والوعيد[1]

توطئـــــــة:

تعددت أساليب (ليس منا) في الحديث النبوي الشريف لخطاب النفس البشرية ما بين ترغيب وترهيب، وإنذار وتبشير، ووعد ووعيد، وكان التهديد والوعيد من الأساليب التي اعتمدها الرسول ﷺ في أحاديثه (ليس منا)؛ وذلك لأن من النفوس البشرية من لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا خوطبت بخطاب فيه تهديد ووعيد؛ لجعل النفوس تخاف مما عملت، وليعطي فرصة للحديث الداخلي بينه وبين نفسه فيما اقترف. والمتأمل في أحاديث (ليس منا) يجد أن أسلوب التهديد والوعيد لم يأت بصيغة التهديد الصريحة، مثل:

أ) تكرار الكلام بلفظه، والقصد التهديد، **مثال قوله ﷺ :**

١ــ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطعِم أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ[2]، وليس منا من قَاتَلَ على عَصَبِيَّةٍ، وليس منَّا مَنْ مات على عصبِيَةٍ"[3].

---

(١) **الوعيد هو التهديد:** وهو: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، وهو وعيد وتهديد بعقوبة مترتبة على اقتراف إثم أو ذنب، مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فرائض الله.(أصول الدعوة، ٤٣٧).

(٢) **التعصب من العصبية، والعصّبية:** أن يدعو الرجل إلى نُصره عصبية والتألُّب معهم على من يُنَاوِئُهُمَ، ظالمين كانواْ أو مظلومين، والتعصب: المحاماة، والمدافعة، وتعصبنا له: نصرناه، وعَصَبَة الرجل: قومه الذين يتعصبون له. (لسان العرب ع ص ب).

قال ابن الأثير: "العصبي: الذي يغضب لعصبيته ويحامي عليهم، والتعصب: المدافعة والمحاماة". (ينظر: فيض القدير، ٣٨٦/٥).

(٣) رواه أبو داود، ٣٣٢/٤ (٥١٢١) قال صاحب عون المعبود في إسناده محمد بن عبدالرحمن، قال أبو حاتم: هو مجهول، وقد أخرج مسلم في صحيحه ١٤٧٦/٣ (١٨٤٨)، والنسائي في سننه، ١٢٣/٧ (٤١١٤) من حديث أبي هريرة بمعناه أتم منه.

المعنى العام للحديث:

ليس منا من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونة الظالم، وتعصب الرجل لطائفة مطلقًا فعل أهل الجاهلية محذور مذموم(١).

التحليل السياقي:

من الأوليات الملحة التي لفت إليها الرسول ﷺ التفكير السليم، حيث عمل ﷺ على بناء تفكير سليم لما لإبعاد ما ينتج عنه من آثار سلبية، ومن أهم الخطوات التي اتبعها الرسول ﷺ لهذا البناء ما يأتي:

ــ الحض على العلم وذم الجهل أو التخلف، فقد كان الجهل منتشرًا عند بعثة النبي ﷺ ولمواجهة الجهل والضلالة التي هي من أهم عوائق التفكير السليم، فعن أبي مالك الأشعريَّ، أن النبيﷺ قال: **"أَرْبَعٌ من أُمَّتِي من أمرِ الجاهليَّة، لا يتْرُكُونَهُنَّ، الفخُر في الأَحسابِ، والطَّعْنُ في الأَنسابِ، والاسْتِسْقَاءُ بالنُّجومِ، والنِّيَاحَةُ"**(٢).

ظاهر معنى قوله: (ليس منا): الخروج عن الدين والملة، ولكن عند النظر إلى النص ــ على ترو ــ يتبين أن السياق يؤثر معنى آخر وهو التهديد والوعيد، يدعمه في ذلك ويعضده عدة قرائن حالية ولغوية:

القرائن الحالية:

ــ للتكرار دور تأثيري في المتلقي، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة؛ لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتمامًا عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار.

---

(١) فيض القدير، ٣٨٦/٥.

(٢) رواه مسلم، ٦٤٤/٢ (١٥٥٠)، والترمذي، ٣١٦/٣ (١٠٠١).

وعلى هذا التفسير يكون الرسول ﷺ ردد صفة النفي (ليس منا) في إيجاز بليغ؛ بغية إثارة المعاني الدلالية العديدة لهذا التركيب في ذهن السائل ونفسه من تهديد ووعيد، لأجل تأكيدها وتقريرها، وهذا من قدرات الخبير بطبائع اللغة الذي يستطيع أن يعبر بكلمة واحدة عن معان لا تستطيع أن تفصح عنها جمل عديدة، فالعبرة بكمية التعابير وتنوعها ودقتها لا بكمية المفردات(١).

القرائن اللغوية:

ـ موقف رسول الله ﷺ من العصبية وتهديده للذين يتعصبون ويتوعدهم، **فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله ـ عز وجل ـ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّة الجَاهِلِيَّةِ وفَخْرَهَا بالآباءِ مؤمنٌ تقِيٌّ وَفاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُم بَنُو آدمَ وآدمُ مِنْ تُرَاب، لَيَدَعَنَّ رِجَالُ فَخْرَهُم بأَقْوَامٍ إنَّما هُمْ فَحْمُ مِنْ فحمِ جَهَنَّم، أو لَيَكُونُنَّ أَهْونَ على اللهِ من الجِعْلاَنِ التي تَدْفَعُ بأَنْفِهَا النَّتِنَ"(٢). ثم أوصل الرسول ﷺ إلى المفاضلة بين الإسلام والكفر، حيث نفى ﷺ ـ على سبيل التهديد والوعيد ـ أن يكون الداعي إلى عصبية من المسلمين، فعن جُندَب بن عبدالله البَجَلِيِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ : "مَنْ قُتِل تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أو يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتلُهُ جَاهليَّةٌ"(٣).**

هذا، ويستنبط من هذا التأويل السياقي ما يأتي

١ـ إن الدعوة للعصبية، والغضب للعصبية والقتال لها، كله من أمر الجاهلية، وأن من قاتل لأجل العصبية الجاهلية فقُتل، فقتلته جاهلية وموته في سبيل الشيطان.

---

(١) القسم في الحديث النبوي الشريف، د. أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، ٢٠١٠م، مجلد ٢٦، عدد ٣، ٤، ص٧٦.

(٢) أبو داود، ٣٣١/٤ (٥١١٦)، والترمذي، ٧٣٤/٥ (٣٠٥٥)، وأحمد ٣٤٩/١٤ (٧٨٣٦)، ٤٥٥/١٧ (١-٧٨١).

(٣) صحيح مسلم، ١٤٧٨/٣ (١٨٥٠) (العُمِيَّة: بضم العين وكسرها، والميم مكسورة، والياء مشددة هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه).

٢ــ حمل الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ، بل بمجرد طلب الملك.

٢ــ عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لَيْسَ على المُنْتَهَب[١] قَطْع ولا على الْمُخْتَلَس قطع، ومن انْتَهَب نهبة مشهورة فليس منا"[٢].

عن ابن عَبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ : "ليسَ مِنَّا من انتَهَبَ أو سَلَبَ أو أَشَارَ بالسَّلْبِ"[٣].

المعنى العام للحديث:

ليس من أهل سنتنا أو طريقتنا الإسلامية من انتهب، أي أخذ مال الغير قهرًا جهرًا، والمراد الزجر لا الإخراج من الدين. قال الثوري: ولا ينبغي إيراد هذا التأويل للعامة، بل يمسك عنه، فإن النبي ﷺ إنما أورده بقصد التنفير ومزيد الزجر وبالتصريح بتأويله يفوت المعنى المقصود[٤].

التحليل السياقي:

يتضح مما سبق أن التركيب (ليس منا) استعمله الرسول ﷺ للتهديد والوعيد وليس على حقيقة معناه، وهو الخروج عن الدين، ومن هنا أعرض السياق عن هذا المعنى، ليصطفي دلالة أخرى، وهي إرادة التعنيف والتشديد، كل ذلك جعل النبي ﷺ يغلظ في القول مستعملاً هذا اللفظ (ليس منا).

---

(١) **النهب:** السلب والاختلاس، وقيل الأخذ قهرًا وجهرًا، أي يغتصب ذلك. (النهاية، ابن الأثير، ١٣٣/٥، ن هـ ب)، وينظر: (القاموس المحيط، ١٤٠/١، ن هـ ب)، والنهب يختلف عن السلب من حيث طبيعة الفعل، فالسلب يعني: الاختلاس، أي: يأخذ الشيء عياناً ثم يهرب، مثل أن يمد يده إلى حاجة إنسان فيأخذها ثم يهرب، والنهب: تعني الغنيمة، والمنتهب: الذي يأخذ المال بالقهر مع العلم به؛ ولأن المنتهب والمختلس يأخذان المال على وجه يمكن النزاعه منه. (المهذب في فقه الإمام الشافعي، باب حد السرقة، ٣٥٣/٣).

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣٣٧/٥، (٩٧٣٠).

(٣) الأحاديث المختارة، ضياء الدين المقدسي، دار خضر، ط٣، ١٤٢٠هـ ــــ ٢٠٠٠م، ٥٥٣/٩ (٥٤٦).

(٤) فيض القدير، ٣٨٤/٥.

ويشفع لهذا التوجيه السياقي دون المعنى اللغوي المتبادر للأذهان قرينتان:

الأولى ــ قرينة حالية: وظيفة الزمن في السياق (الماضي) "دلالة ترتبط بصيغة معينة دائمًا، وإنما تُختار الصيغة التي تتوافر لها الضمائم والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق"(١).

الثانية ــ قرينة لغوية: لكي يؤدي الفعل (انتهب، سلب) دلالته في السياق أو التركيب الكلامي، يحتاج دائمًا إلى ضمائم خاصة به، تساعد على إضاءة المعنى ومعرفة المغزى منه(٢)، وفي الحديث الشريف دلت تركيب (قطع)، (سلب) على التعميم لتشمل كل أنواع النهب، فالأدوات من القرائن اللفظية المهمة في الدلالة على معانٍ وظيفية خاصة، ولهذا كان النفي بـ(ليس منا) ذا دلالة منقطعة لانتفاء عمله في الآخرة، **عن أبي هُرَيرةَ، أن رسول الله ﷺ قال: "لاَ يَنْتَهبُ نُهْبَةً ذات شَرفٍ، يرفعُ المؤمنونَ فيها أبصارَهُم، وهو حين ينتَهِبُهَا مؤمِنٌ"**(٣).

وبعد: فتلك قرائن تمنع إرادة المعنى اللغوي لقوله ﷺ (ليس منا)، فقوله ﷺ (ليس منا) إطلاق يشتمل على غاية الزجر، وتمام الوعيد، أو أن النفي إنما هو لكمال الإيمان لا لصحته، فكانوا يؤثرون بقاء العبارة النبوية على إطلاقها في مثل هذا الموضع ليرتدع المفسد، وينزجر عن الحرام.

قال النووي: "هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا

---

(١) اللغة العربية ــ معناها ومبناها، ٢٤٨.

(٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، ١٩٧، ١٩٨.

(٣) مسند الدارمي، ١٢٦٧/٢ (٢٠٣٧).

من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نَفَعَ، ولا مالَ إلا الإبِل، ولا عيش إلا عيش الآخرة"(١).

ومما يستنبط من هذا التأويل السياقي ما يأتي:

أولاً: من أخلاقيات المسلم الترفع بنفسه عن متدنيات الأمور، وعدم التمسك بمتع الحياة وزينتها، وفي هذا التوجيه سعي لعدالة اجتماعية.

ثانيًا: الاعتماد على ناحية الاقتصاد اللغوي، فهو يعتمد على "تكثيف اللغة لتعطي مجالاً أوسع من الأفكار والمعاني، ويمكن اللغة من التطور"(٢)، فرسول الله ﷺ يقول: (ليس منا) أي ليس على هدينا وأخلاقنا من سلب أموال الناس أو انتهبها أو أشار إلى سلبها.

ثالثًا: بيان أن الذين ينهبون أموال المسلمين ليسوا من المسلمين، الصالحين المتورعين عن الحرام، وليسوا على طريقة النبي ﷺ من الصلاح والوقوف عن حدود الله.

ب) سَوْق الكلام مساق القسم:

١ــ عن أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقُولُ: "لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيه وهو يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعى ما ليْسَ له فليْسَ مِنَّا وليَتبوَّأْ مقْعَدهُ مِنَ النَّارِ، ومَنْ دَعَا رجُلاً بالكُفْرِ، أو قال: عُدوُّ الله وليْسَ كذلِك إلا حَارَ عَلَيْهِ"(٣)، وفي رواية أخرى: "ليْسَ من رَجُلٍ ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمُه إلا كَفَرَ، ومن ادَّعى مَا لَيْسَ له فليس مِنَّا"(٤).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ٤١/٢ (باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله).

(٢) النقد والإعجاز، محمد تحريش، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٤م، ٣٣.

(٣) رواه البخاري ١٨٠/٤(٣٥٠٨)، ومسلم ٧٩/١ (٦١) وهذا لفظ مسلم، حار: باء ورجع.

(٤) الكبائر، الإمام الذهبي، ٢٢١/١، الكبيرة التاسعة والخمسون (فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم).

المعنى العام للحديث:

ليس من رجل ادعى لغير أبيه واتخذه أبًا وهو يعلم أنه غير أبيه إلا كفر إن استحل، ولا يحسن حمله على كفر النعمة؛ لأنه "أراد به كفر الإحسان كما في قوله: وتكفرن العشير وهو الزوج أي إحسانه إليها"(١)، ومن ادعى فليس منا أي: ليس على هدينا وجميل طريقتنا، ولهذا ذهب البعض إلى حمل الحديث على الزجر والتنفير(٢).

التحليل السياقي:

تفضي النظرة الخاطفة بأن المراد من قوله: (ليس منا) الخروج من الدين، وبدقة الفهم للمعنى المراد من النص يتبين أن السياق قد عزف عن هذا المعنى اللغوي، وابتغى معنى غيره، أنه سياق يبدأ بنفي في موضوع تهديد، يكاد يبدأ من الحال نفسها، لكنه ينسحب إلى قريب منه، ليكون عقوبة على الذنوب التي لا تقع إلا في الآخرة، لأن ليس فعل "يدخل على جملة ابتدائية، فينفيها في الحال، وذلك أنك إذا قلت (زيد قائم) ففيه إيجاب قيامه في الحال، وإذا قلت (ليس زيدُ قائمًا) فقد نفيت هذا المعنى أيضًا في الحال"(٣).

---

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط، ابن الصلاح، ٢٣٦/١.

(٢) فيض القدير، ٣٨٢/٥.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٢٦٦/٤، وهي بمنزلة (ما) تدخل على الأسماء كثيرةً، وتتفق (ليس وما) بزيادة (الباء) في الخبر المنفي بهما على عكس زيادته في خبر (لا)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: الآية (١٨٢)]، وقال ــ سبحانه ــ: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ [الزمر: الآية (٣٧)].

وعلى هذا التأويل السياقي يكون تركيب (ليس منا) قد خرج عن معناه الحقيقي إلى دلالة الوعيد بدلائل القرائن اللغوية الموجودة، وهي:

١ــ رسول الله ﷺ لم يكن يملك حق وضع حكم شرعي إلا بوحي من الله ــ سبحانه وتعالى ــ القائل في محكم كتابه: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**(١). فإذا نهى النبي ﷺ عن شيء، أو اقترن نهيه بالتحريم الصريح كأن يقول: فإنه حرام، أو يصفه بالفاحشة ونحوها، أو يتوعد عليه بالعذاب في الآخرة، فالنهي في هذه الحالة يقتضي التحريم، والتحريم مستفاد من الوعيد الموحي من الله ــ سبحانه وتعالى ــ إلى نبيه ﷺ.

٢ــ لم يرد من الحديث زمن الحال وحسب، بل امتدت دلالته لتشمل ما بعد زمن المتكلم؛ لكونه توجيهًا أخلاقيًا يمس سلوكيات المسلم ويقوِّمها، **ففي حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ يقول: سَمِعَ أُذُنَايَ من رسول الله ﷺ وهو يقول: "مَنِ ادَّعى أَبًا في الإسلام غَيَرِ أبيه وهو يعلَمُ أنَّه غَيرُ أبيهِ ــ فالجنَّةُ عليه حَرَامٌ"**(٢). فهو خطاب عام، قُصد به خصوص نوع من الكفر، وهو كفر المُنْعم، أي نعمة النسب، فمن ستر تلك النعمة، فقد تسبب في إدخال نفسه مشقة فقدان النسب، والهوية والانتماء، وما يترتب عليهما من إفساد مصالح كثيرة. والدليل الذي خصص وقيد به العموم المطلق، متصل ثبت باللفظ الصريح وهو المعنى المستفاد من جملة الفعل: (من ادعى لغير أبيه).

---

(١) الإسراء: الآية (٣٦).

(٢) رواه البخاري ١٥٦/٨ (٦٧٦٦)، ومسلم ٨٠/١ (٦٣)، وقوله (ليس منا) إن اعتقد جواز ذلك خرج من الإسلام، وإن لم يعتقد فالمعنى لم يتخلق بأخلاقنا.

٣ــ قول الرسول ﷺ (ليس من رجل ادعى ... ومن ادعى)، فقد رسم الحديث في نفس المتلقي لفظين متضادين استمرار التهديد بالعقوبة (ليس من رجل ادعى)، ليمد فيه هذا الأمل وهو بُعد العقوبة لتخيل النفس في الأمر قليلاً من الجرأة متأتية من داخل النفس الأمارة بالسوء، وبين استمرار إرادة النفس أركان هذا المحرم ليمد صورة العقاب (نفي دخول الجنة) المهدد بها المتلقي المسيء من زمن المستقبل القريب وهو ما يلي زمن التكلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (المستقبل الأبعد)؛ فيضمن في ذلك دافعًا مستمرًا يمنعه من ذلك الفعل، معضدًا بدلالة (من ادعى)، قرينة دالة على الصَّرم، كأنها داع إلى الفعل في كل حين؛ لأن المنفي بـ(ليس) إن لم يُقيد بزمان مخصوص، فإنه يُحمل على الحال، وإذا قُيّد بزمان من الأزمنة، فإنها تنفيه بحسب ذلك القيد(١). فسياق الحديث ربط بين زمن الإنسان أيًا كان هذا الزمن بالاستقبال وهو مآله، وبين دلالة (ليس منا) التي لا تقتصر على الحال فقط، بل تدل على الاستقبال بدلالة السياق، حالها في ذلك حال (ما)(٢)؛ لأن الادعاء لا يقتصر على زمان ومكان معينين ــ زمن التكلم ــ وإنما من ادعى فهذه صفاته (الكفر وتبوأ النار إذا كان يعلم) في كل وقت وحين.

(١) ينظر: شرح الكافية، الرضي ١٩٧/٤، والارتشاف ٦٩/٢، ومغني اللبيب ٣٢٣/١.

(٢) "زعم قوم من النحاة أن (ليس) و(ما) مخصوصان بنفي ما في الحال، والصحيح أنهما ينفيان ما في الحال، وما في الماضي، وما في الاستقبال". (ينظر: شرح التسهيل ٣٨٠/١).

٤ــ جاءت لام الأمر في الفعل (وليتبوأ)، فكأنه تكرير لكلمة (ومن ادعى)، وقوله (ليتبوأ) لفظه الأمر ومعناه الخبر، والمقصود: فقد اتخذ مقعده من النار. فلم يرد بقوله ﷺ هذا أن يأمره بذلك أمرًا، "وهذا جائز في كلام العرب أن تقول: افعل كذا وكذا، وليس تأمره بذلك أمرًا، ولكنه أمر بمعنى الخبر ألم تسمع حديث النبي ﷺ : **"مَنْ كَذبَ عَليَّ مُتَعمِّدًا فَلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**[(١)]، ليس وجهه أنه أمره بذلك. هذا ما لا يكون، إنما معناه: من كذب عليّ متعمدًا تبوأ مقعده من النار، أي كان له مقعده من النار، إنما هي لفظة أمر على معنى الخبر، وتأويل الجزاء"[(٢)]، وإنما يراد من الحديث أنه يحث على عدم الانتساب لغير أبيه ويأمر به ويعيب فاعله من خلال ما يحتمله السياق، ويستثنى المعنى اللغوي لتركيب (ليس منا)؛ لأنه لا يتناسب مع المقصد الذي يريده المتكلم من دلالة الأمر هنا، فليس الكلام على ظاهره دائمًا، بل لابد من نظرة عامة، تأخذ بالسياق ودلالته.

وإن دل هذا فإنما يدل على معالجة النفس؛ إذ هو مناط الإفادة من الفهم العميق لما سبق وقرره النبي ﷺ في بداية كلامه، فالمعاني كلها تنحدر إلى هذا الأمر (وليتبوأ)، وهذا التصرف الأسلوبي جارٍ على طبع اللغة وبلاغتها، والتي من شأنها "أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام، ودلالة الحال وأصل بلاغتها في هذه الوجازة وتنشيط نفسه حتى يفهم القرينة، ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود، ٣١٩/٣ (٣٦٥١).

(٢) غريب الحديث، الهروي، ٣٣٢/٢.

(٣) خصائص التراكيب، ١٥٣.

وبهذا نستطيع أن نتبين من الزمن والسياق على حد سواء تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة[١]، "فلابد أن تقوم القرائن الحالية والمقامية بدورهما في تحديد الزمن"[٢].

هذا، وقد أفرز هذا التأويل السياقي فائدة تتمثل في:

١ــ دروس التربية النفسية والإعداد النفسي للمسلم؛ من أجل فهم الأمور الشرعية، ففي قوله (ليس من رجل) أراد التعميم، ثم كرر أداة النفي (ليس)، والتكرار من القرائن اللفظية، ولعله أراد من ذلك التوكيد والتخصيص في المعنى بعد ذكره العام بداية، أو أراد التفصيل في الكلام بعد إجماله، وهذا يُعد ضرورة في مراعاة الجانب النفسي بتوظيف دلالة الخاص، وتخصيص الدلالة، ناهيك عن ورود العطف بالواو (ومن ادعى)، "ومذهب جمهور النحويين أنها للجمع المطلق"[٣].

٢ــ كفران النعمة وهي نعمة الوالدين ففي حديث **أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لَا تَرْغَبُواْ عن أبائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عن أبِيه فهو كُفْرٌ"**[٤].

---

(١) زمن الفعل في اللغة، ١٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجني الداني في حروف المعاني، المرادي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ ــ١٩٩٢م، ١٥٨/١.

(٤) رواه البخاري، ١٥٦/٨ (٦٧٦٨)، ومسلم، ٨٠/١ (٦٢).

ج) التعبير بصيغة المستقبل للإخبار عن عاقبة المعرضين:

١ــ "عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "ليس مِنَّا مَنْ تَطَيَّر أو تُطُيِّرَ[١] له أو تكَّهنَ أو تُكُهِّنَ[٢] له أو سَحرَ[٣] أو سُحِرَ له[٤]، ومن أتي كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ".

المعنى العام للحديث:

التطير بالسوانح والبوارح عادة من عادات العرب قبل الإسلام، وقد تصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع ونهى عنه في سياق الحديث النبوي الشريف، نفي جنس هذا العمل، وقبحَّه، وقد جاء التوضيح اللغوي لألفاظ الحديث منسجمًا مع سياق الحديث.

---

(١) **التطير:** تطيَّر تُطيرًّا وطِيرَة (بكسر الطاء وفتح الياء، (والضِّيْرة بالتسكين). (النهاية، ١٥٢/٣) أو (الطُّورة). (تاج العروس، ط ي ر)، ويقال: "اطير بالقلب والإدغام". (المعجم الوسيط ط ي ر)، وأصله تطير فأدغمت التاء في الطاء واجتلبت الألف ليصح الابتداء بها. (تاج العروس، ٤٥١/١٢، ط ي ر)، وقال ابن حجر: "والتطير والتشاؤوم بمعنى واحد". ٢٧٠/١، (فتح الباري ٢١٣/١٠).

(٢) **التكهن:** قال ابن الأثير: "الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار". (النهاية، ٤١٢/٤)، وقال ابن قدامة: (الكاهن الذي له رئى من الجن تأتيه بالأخبار". (المغني، ابن قدامة، ٣٢/٩).

(٣) **السحر:** عبارة عما خفي ولطف سببه وهو: عزائم ورقي وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١١٧/٥ (٨٤٨٠)، والحديث رواه البَزَّارُ بإسناد جيد، والطبراني من حديث ابن عباس دون قوله (ومن أتي) إلى آخره بإسناد جيد.

التحليل السياقي:

قول النبي ﷺ : (ليس منا) ظاهره الدعاء بالنفي والخروج من الملة، لكن من ينظر إلى النص على تريث يتبين له أن هذا التعبير ليس على حقيقته اللغوية التي هي الخروج عن الدين، وأن السياق قد رشح معنى آخر، وهو التهديد والوعيد، فورد هذا المعنى بأسلوب النفي؛ وذلك لما في هذا الأسلوب من قسوة وردع لازمين في مواقف تصحيح العقيدة وتقويم الاعوجاج، فخرج النفي في سياق الحديث إلى معنى التهديد والردع، ويشفع لهذا المعنى عدة قرائن حالية ولغوية:

- قرينة عائدة إلى قصد المتحدث والتي تدرك من شواهد الحال. فالتطير عادة من عادات العرب قبل الإسلام، كما كان التكهن والتسحر منافيًا لكمال الإخلاص، فجاء الحديث مراعيًا لأحوال المخاطبين وأعرافهم وعاداتهم الاجتماعية والنفسية.
- صيغة (تفعّل) محورًا لأداء المعنى المتمثلة بالفعل ففي الأفعال: (تطيّر، تكهّن، تسحّر) فهي تركيب أوقع في النفس، وأعمق أثرًا في ذات المتلقي؛ لما تحمل من دلالات تجسد المعنى، كما أفادت ترابطًا تناسبيًا مفاده "التدرج"(١)، والتي تفيد الفعل مرة بعد مرة، وهذا ما يتناغم مع المعنى المعجمي للأفعال: تطير، تكهن، تسحر. يقال: "وتعهدت الشيء ترددت إليه وأصلحته وحقيقته تجديد العهد، وتعهدته حفظته"(٢). وعلى هذا يكون دلالة (تطير- تسحر- تكهن) المبالغة في الفعل، دون التركيز على الفاعل، بل على فعلهم الشنيع.

---

(١) تأتي تفعَّلت للشيء تأخذ منه الشيء بعد الشيء، نحو قولك: تَفَهَّمْتُ ، وتَبَصَّرْتُ ، وتَأَمَّلْتُ ، وتَبَيَّنْت. (أدب الكاتب، ابن قتيبة، مؤسسة الرسالة، ٤٦٧/١).

(٢) المصباح المنير (ع هـ د).

ـ الفاء في (من أتي كاهنًا فصدقه) لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم يمكن أن تفيد معنى التفريع أي تفرع على ما أمرهم به رسول الله ﷺ من ترك التطير والتسحر والتكهن أنهم أتواْ بعكس المطلوب منهم، فيفيد الكلام زيادة على الذم تعجيبًا من حالهم. ومما يزيد الذم قوله ﷺ : "فقد كفر بما أنزل على محمد".

ـ شكلت هذه الأفعال محور الحديث النبوي الشريف ومعقد معناه، بما تمثله من دلالة تناسبية تتساوق وزمن الحديث النبوي، مفادها التجنب، وجاء التهديد والوعيد بأسلوب النفي؛ لأنه أشد وقعًا، وأبلغ تأثيرًا من غيره في مقام يتطلب هذا الموقف، فنفي الشرع ذلك، وأخبر أنه ليس له تأثير ينفع، ولا يضر في الحديث، وأنه قد بلغ مقطعًا مهمًا من المعنى يجب عليه أن يلتفت إليه. وهذه قاعدة عامة في كل مخالفة(١)، وتوجيه الحث إليهم بصيغة النفي دلالة على اهتمام المتكلم (الرسول ﷺ) بهذا الأمر وتأكيد إبرازه لينال العناية المطلوبة في النفس المتلقية(٢). قال تعالى: **﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**(٣)، وقال تعالى حكاية عن قوم صالح عليه السلام: **﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾**(٤)، وقال تعالى حكاية عن أصحاب القرية: **﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾** (٥).

---

(١) خصائص التراكيب، ٢٠٥.

(٢) ينظر المعنى نفسه في: فتح الباري،١١٤،١١٥/١، ٦٢/٣، ٧٢/٨، ٧٢٠/٩، ٧٢٥/١٠.

(٣) الأعراف: الآية (١٣١).

(٤) النمل: الآية (٤٧).

(٥) يس: الآيتان (١٨)، (١٩).

هذا، وقد أفرز هذا التأويل السياقي ثلاث فوائد، هي:

الأولى: مراعاة الشرع الجانب النفسي للإنسان المؤمن(١).

الثانية: ترسيخ العقيدة الإسلامية عند الإنسان عن طريق توثيق العلاقة بينه وبين ربه، وبالإيمان بالقدر خيره وشره.

الثالثة: عدم الاعتماد على الطير والكهانة والسحر، فليس لهم تأثير في جلب نفع ولا دفع ضرر، **فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَة شِرك الطِّيَرَةُ شِرك ثلاثًا، وما منَّا إلَّا ولكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بالتَّوَكُّلِ"**(٢).

د) سَوْق الكلام مساق الإخبار:

١ــ عن أبي مُوسَى عن النبِّي ﷺ قال: "مَنْ حَمَل(٣) علينا السِّلاحَ فليْسَ منَّا"(٤).

---

(١) ضعيف الثقة بالنفس لا يستطيع مقاومة الأحداث، والمشكلات التي تعترض حياته؛ لأنه لم يثق بنفسه ثقة تدفعه للمقاومة وعدم الاستسلام. (ينظر: مشكلات الإنسان في التحليل النفسي، سمير عبده، دار الآفاق الجديدة، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م، ١٠٨).

(٢) رواه أبو داود في سننه، ١٧/٤ (٣٩١٠).

(٣) حمل: حمل الشيء يحملُهُ حَمْلاً وحُمْلانًا فهو محمول وحمِيل واحتَمَلَه. (لسان العرب، ١١، ١٩٧، ح م ل)، والحديث من حمل أي من حَمَل السلاح على المسلمين لكونهم مسلمين فليس بمسلم، فإن لم يحملهُ عليهم لأجل كما في الحديث الشريف الآتي: كونهم مسلمين فقد اختلف فيه، فقيل معناه: ليس على طريقتنا، أو ليس متبعًا لطريقتنا، والمراد بالحمل في الحديث: حمله لإرادة القتال به لقرينة قوله (علينا) أو حمله للضرب به (فتح الباري، ابن حجر، ٢٥/١٣).

(٤) صحيح البخاري، ٤/٩ (٦٨٧٤)، وصحيح مسلم، ٩٨/١ (٩٨).

وعن سلمة بن الأكوع، قال: قال رسول الله ﷺ : "مَنْ سَلَّ[1] علينا السَّيفَ فَلَيْسَ مِنَّا"[2].

"ليس منا من شَهَر[3] علينا السيف"[4].

عن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : "مَنْ رمَانَا[5] باللَّيل فليْسَ منَّا"[6].

المعنى العام للأحاديث:

المعنى من أخرج سيفه من غمده لإضرارنا فليس منا حقيقة إن استحل ذلك، وإلا فمعناه ليس من العاملين على طريقتنا المتبعين لإرشادنا لدلالة الشقاق على النفاق، "المراد مَنْ حمل عليهم السلاح لقتالهم، لما فيه من إدخال الرعب عليهم لا مَنْ حملَهُ لحراستِهم مثلاً، فإنه يحمله لهم لا عليهم، وقولُهُ فليس منا أي ليس على طريقتنا، وأُطلقَ اللفظ مع احتمال إرادة أنه ليس على الملّة للمبالغة في الزجر والتخويف"[7].

---

(١) سل: "السَّلُّ: انتزاعك الشيء وإخراجُه في رفق، وسيف سليل: مَسْلُول، وانسل: انطلق في استخفاء (القاموس المحيط ، ١٠١٥/١، س ل ل).

(٢) صحيح مسلم، ٩٨/١ (٩٩)، ورواه البخاري

(٣) شهر: الشُهرة: ظهور الشيء في شُنْعه حتى تِشهَره الناس، وشَهَر فلان سيفه: إذا انتضاه من غِمْده فيرفعه على الناس. (التهذيب، باب الهاء والجيم مع الراء).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٤/١٣ (باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا).

(٥) الرمي: "رمي الشيء وبه: ألقاه، والسهم عن القوس (القاموس المحيط ، ١٢٩٠/١، ر م ي).

(٦) رواها لطبراني، الأوسط، ١٣٥/٩ (٩٣٤٠)، رواه أحمد ٢١/١٤ (٨٢٧٠)، والحديث ضعيف في هذا الإسناد (وبلفظ: من رمانا بالنبل فليس منا)

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ١٩٧/١٢ (باب ومن أحياها).

قال الحافظ بن حجر: قوله (ليس منا) أي ليس من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، لكن فائدة إيراده بهذا اللفظ (ليس منا) المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك(١).

التحليل السياقي:

وهنا سؤال يلقي بظله: هل رغب السياق في هذا المعنى، أم أراد النفي عن دين الإسلام؟

الجواب: الناظر المتمعن في هذه النصوص يدرك أن الأظهر بهذا التركيب (ليس منا) المبالغة في الردع وليس المراد حقيقته وهي النفي والخروج عن الدين، وقد استند السياق هاهنا في رده المعنى اللغوي لتركيب (ليس منا) إلى التهديد والوعيد إلى عدة قرائن، هي:

القرينة الحالية:

أن الرسول ﷺ ما حمله على قول ذلك إلا خوفه من فعل شيء يخالف فيه الدين الإسلامي، فشدة خشيته ﷺ دفعته إلى التكلم بهذا التركيب (ليس منا)، فهي قرينة عائدة إلى قصد المتحدث التي تُدرك من شواهد الحال، ولسياق الحال أثره في تبين الظروف المكانية والزمانية، وضبط النص، وسلامة الترجيح، ودفع الإشكالات الواردة على الحديث، ثم أمر آخر يجب التوقف عنده والتنبيه له، وذلك أن الأفعال في النصوص النبوية (حمل، سلّ، شهر) أتت بصيغة الفعل الماضي، مما يعني تناسق الأدوار في الدلالة على زمن الفعل، أما لماذا الماضي هنا؟ فذلك لأن دلالة الأسلوب قد تعدت مستوى أن تكون محصورة بدلالة الألفاظ المباشرة إلى مستوى الدلالات المجازية وهي (التهديد والوعيد)، وتقديم البرهنة على أن هذا القول كلام محسوم القول فيه، فلا مناقشة فيه، وليس مقبولاً حتى التفكير برفضه، والحديث هو ما يفسر مجيء الأسلوب وفق هذا النمط السياقي.

---

(١) المصدر السابق، ١٥٣/٣ (باب ليس منا من شق الجيوب).

وبعد .. فتلك قرينة حالية سوغت للنص العدول عن دلالة (النفي) من الخروج عن الدين إلى (التهديد والوعيد)، الأمر الذي يتطلب التعبير عن المعنى بصيغة تتضمن الإلزام والاستعلاء، فناسبها حضور (ليس منا) أي أن يكف عن الإقدام على هذا الأمر.

فهذه القرينة الحالية تشهد بأن المعنى الحقيقي لتركيب (ليس منا) لا يستقيم به الكلام ولا يتطلبه السياق، وإنما الأليق والأنسب بالسياق أن يحمل تركيب (ليس منا) على معنى التهديد والوعيد.

القرينة اللغوية:

قال الإمام النووي ــ رحمه الله ــ في تفسير الحديث الوارد فيه (ليس منا): "فأمّا تأويلُ الحديث فقيل هو محمول على المُستَحِلِّ بغير تأويل، فيَكْفُرُ ويخرجُ عن الملة، وقيل معناه ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا، وكان سفيان بن عُيَيْنَةَ ــ رحمه الله ــ يكره قول من يفسِّره بليس على هدينا ويقول: بئس هذا القولُ، يعني بل يُمسك عن تأويله؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر والله أعلم"(١).

تعليق واستنتاج:

لقد غَلَّفَ هذا التركيب (ليس منا) بظلاله مدلوله اللغوي الذي أراده النبيﷺ ، لكن الذي يتبادر للنفس أولاً معنى الكفر المناقض للإيمان بالله، وهنا يتولَّد الإيحاء بالمعنى الذي تنفر النفس منه وهو الكفر، لينتقل هذا النفور إلى المعنى الذي أراده ﷺ وهو (التهديد والوعيد)، فتحقق مراده بتركيب (ليس منا) وما اتكأ عليه السياق من قرائن.

(١) شرح صحيح مسلم، ١٠٨/٢ (باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا).

ونرصد في هذه الأحاديث طريقتين لإثارة المتلقي في اكتساب تركيب (ليس منا) لهذه الدلالات:

ـ تارة يأتي ﷺ بالعبارة كاملة، وهي على وضوح ظاهرها عجيبة الدلالة، مخالفة لبديهيات الأمور، وراء ألفاظها معنى مرادًا، غير مصرح به ابتداء، فتثير في النفس رغبة في الكشف عن المقصود والتصريح به من ذلك قوله ﷺ : **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إلى عَصَبَيَّة ..."**(١) الحديث.

ـ وتارة تأتي العبارة مكتملة، فيذكر ﷺ شطرًا من الكلام، ويمسك عن تمامه ليذَر السَّامع في عالم الممكنات، ثم يأتي تصريحه ﷺ ؛ ليكسب المعنى قوة وأثره جمالاً وجلالاً، ومن ذلك قوله ﷺ : **"لَيْسَ مِنْ رَجُل ادَّعَىَ..."**(٢) الحديث، وقوله ﷺ : **"ليس مِنَّا مَنْ تَطَّير ..."** (٣) الحديث.

ـ وتارة يأتي ﷺ بالفكرة من خلال المكونات المادية المحسوسة التي يستوعبها المخاطَب، وتحتاج إلى جهد وإمعان نظر، من ذلك قوله ﷺ : **"مَنْ حَمَلَ علينا السِّلاحَ فليس مِنَّا"**(٤).

---

(١) رواه أبو داود، ٣٣٢/٤ (٥١٢١).

(٢) رواه البخاري، ١٨٠/٤ (٣٥٠٨).

(٣) رواه الهيثمي، ١١٧/٥ (٨٤٨٠).

(٤) رواه مسلم، ١٩٨/١ (٩٨).

المبحث الرابع
أثر السياق في دلالة النهي[1]

توطئة:

لا يجوز أن نتعامل مع نواهي النصوص النبوية إلا وفقًا لمعايير وقواعد منضبطة، تجمع النصوص والأدلة في إطار كلي شامل، ولا نتعامل مع النواهي الواردة على سبيل الكراهة باعتبارها محرمات يأثم المرء بفعلها، ولا مع النواهي الواردة على سبيل الطلب الجازم على أنها مكروهات يجدر اجتنابها، وكل هذا لا يمكن ضبطه إلا من خلال ضوابط اتفق عليها العلماء من أن النهي للتحريم إذا كان الدليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فإن كان الدليل ظُنى الثبوت أو ظني الدلالة فهو للكراهة التحريمية"[2].

(١) **النهي:** "هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية" (المعاني في ضوء أساليب القرآن، ١٥٤)، وهناك صيَغ أخرى للنهي في الأساليب العربية غير صيغة المضارع المقرونة بلا الناهية، وهي أكثر ظهورًا عند الأصوليين، ومن يتعاملون مع النصوص الشرعية بشكل عام، فقد "ينهى من الشيء لاستخدام الدلالة المعجمة لمتضمنة تحريمًا للفعل أو نهيًا عنه". (دلالة السياق، الطلحي، ٥٢٧).

(٢) أصول الفقه الإسلامي، وهبه الزحيلي، ط دار الفكر، ١/٢٣٤، ٢٣٥.

من نواهي التحريم[١]:

١ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لَيْسَ منَّا من تَشَبَّهَ[٢] بالرِّجالِ من النساء ولا من تشبَّهَ بالنِّساء من الرِّجالِ"[٣].

المعنى العام للحديث:

ليس يفعل ذلك الفعل المنهي عنه من هو من أشياعنا، باتَّباعنا، المقتفين لشرعنا، فتشبه أحدِ النوعين بالآخر في اللباس والزِّي والكلام ونحوها حَرَام، بل كبيرة من الكبائر[٤].

التحليل السياقي:

في هذا الحديث: "أراد الرسول ﷺ أن يحدد الحرية الشخصية للفرد بما لا يعقبه ضرر الجماعة، وهو مبدأ معروف في جميع الشرائع السماوية، فلم

---

(١) يُعد التحريم الغرض الأصيل للنهي عند الأصوليين، والفعل المنهي عنه هو المحرّم، ويعرفونه بقولهم "هو ما زجر الشارع عنه ولام على الإقدام عليه". (البرهان في أصول الفقه، الجويني، ٢١٦/١)، ويعرفه الآمدي بقوله: "هو ما ينتهض فعله سببًا للذم شرعًا بوجه ما من حيث هو فعل له، ومن أسمائه أنه محرم ومعصية وذنب. (الإحكام، ١٥٦/١).

(٢) "**الشِّبْهُ والشَّبهُ والشَّبيه:** حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، **والشَّبْهَة:** هو أن لا يتميز أحد من الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينًا كان أو معنى. (المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٤٤٣/١)، **والتشبه:** هو "تكلف الإنسان مشابهة غيره في كل ما يتصف به غيره أو بعضه". (التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي، ٣٧).

(٣) مسند الإمام أحمد ٤٦٢/١١ (٦٨٧٥)، والهيثمي، مجمع الزوائد، ١٠٣/٨ (١٣١٩٦)، والترغيب والترهيب، المنذري، ٧٥/٣ (كتاب اللباس والزينة).

(٤) فيض القدير، ٣٨٤/٥.

يقل في أسلوب تقريري أن الفرد مقيِّد بمصلحة أمته، فلو أتي من الأشياء ما يسئ إليها كان موضع المؤاخذة، بل لجأ إلى الصورة الأدبية لتلقي ضياءها الكاشف على هذه الحقيقة"(١).

من هنا يتبين أن تركيب (ليس منا) لا يخرج ــ في معناه ــ عن هذه المعاني التي ذكرت في الشرح، فذهب بعضهم إلى أنه إن أريد به النفي عن دين الإسلام، لا يصح؛ لأنه إذا عُرِض هذا المعنى على نص الحديث ألفيت السياق قد أعُرض عن هذا المعنى، واستحسن دلالة أخرى وهي إفادة التحريم.

ويعضد هذا التوجيه السياقي عدة قرائن لغوية:

١ــ من ذلك الدليل العام الشامل الذي عليه مدار هذا الموضوع وهو: مما رواه عبدالله بن عمرــ رضي الله عنهماــ قال: قال رسول الله ﷺ : **"من تشبه بقوم فهو منهم"**(٢).

٢ــ قول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: "إن الأصل في ذلك ليس هو راجعًا إلى ما يختاره الرجال والنساء ويشتهرنه ويعتادونه، فإنه لو كان كذلك لكان إذا اصطلح قوم على أن يلَبس الرجال الخُمُر التي تغطى الرأس والوجه والعنق والجلابيب التي تُسدل من فوق الرؤوس، حتى لا يظهر من لابسها إلا العينان، وأن تلبس النساء العمائم والأقبية المختصرة ونحو ذلك أن يكون سائغًا، فالفارق بين لباس الرجال والنساء يعود إلى ما يصلح للرجال وما يصلح للنساء، وهو ما ناسب أن يؤمر به الرجال والنساء فما كان أقرب إلى مقصود الاستتار والاحتجاب كان للنساء، وكان ضده للرجال"(٣).

---

(١) البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء، ٢٣٤.

(٢) أخرجه أحمد، ٥٠/٢، وأبو داود، ٣١٤/٤ (٤٠٣١).

(٣) الفتاوى، ١٤٦/٢٢.

٣ــ المنع في القاعدة يقصد به التحريم للأدلة المتضمنة للعن فاعل التشبه بالآخر من الرجال والنساء. فعن أبي هريرة ﷺ **قال: "لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المرأَةِ ، والمرأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ"**(١).

٤ــ قال العلماء: هذا أقصى ما يكون في الابتعاد من التشبه بهم ومشاركتهم في الصورة الظاهرة؛ لأنه ﷺ نهى عن التشبه بهم في بقاء الشيب الذي ليس هو من فعلنا ولا من إحداثنا في حديث ابن عمر ﷺ قال: **قال رسول الله ﷺ : "غيروا الشَيْبَ ولا تشبَّهُوا باليهود"**(٢)**؛ فلأن يحرم إحداث التشبه بهم أولى، ولهذا كان التشبه بهم حرامًا**(٣)، جعل القاضي، وابن عقيل تشبُّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال من قسم المكروه، والصحيح: أنه مُحرَّم، وحكى بعضُ أصحابِنا التحريم رواية(٤).

هذا وتمْخض عن هذا التأويل السياقي فائدتان:

الأولى: قد وُظِّفَ هذا الحديث توظيفًا دينيًا وفنيًا في وقت واحد، فـ"الاستخدام الديني متمثل بالتعلق بنتائج هذا التمثيل فيما يؤثره في النفس الإنسانية رغبة في الوعد الحسن، والثواب الجزيل الأوفى، الذي لا حدود لإفاضته، أو رهبة من المصير المرعب الذي ينتظر أصحاب المعاصي ... والاستخدام الفني وهو يضفي على المناخ الديني بمجئ زيادة في الإيضاح وعمدة في التصوير حتى يعود المتخيل محققًا، والمستبعد قريبًا، والخفي واضحًا، وذلك بإضفاء الصفات المتعددة على الشيء الواحد، بغية التطلع إلى

---

(١) صحيح سنن أبي داود ٦٠/٤ (٤٠٩٨)، بإسناد صحيح.

(٢) السنن الكبرى، النسائي، ١٣٧/٨ (٥٠٧٣).

(٣) الاستنفار لغزو التشبه بالكفار، تحقيق: عبدالله التقليدي، أحمد بن الصديق الغماري، ط٣، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٥م، ٥٨.

(٤) الفتاوى، ابن تيمية، ٣٥٣/٥.

مجموعة جديدة من الهيئات المركبة المتداخلة التي امتزجت وكأنها صورة واحدة وهي عدة صور"[١].

الثانية: إبطال كل حيلة يتوصل بها إلى محرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغير هيئته وتبديل اسمه[٢].

٢ــ عن ابن لَهِيعَة، عن عمرو بن شُعِيب، عن أبيهِ، عن جدِّه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لَيْسَ منَّا من تشبَّه بغيرِنا، لا تَشَبَّهُواْ باليهُودِ ولا بالنصَارى؛ فإنَّ تسليمَ اليهود الإشَارةُ بالأصابع، وإنَّ تسليمَ النصارى بِالأكُفِّ ولا تَقُصُّواْ النَّواصِي، وأحْفُواْ الشَّواربَ، وأَعْفُواْ اللحَى"[٣].

المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث إرشاد إلى عدم التشبه باليهود والنصارى في هيأة الأكل والشرب، واللباس، والزينة والحلف والسلام والأعياد وسائر الحركات والسكنات والأحوال التي تعرض للمرء في الحياة، وحذرنا من ذلك أشد التحذير، فجعل المتشبه بهم منهم ومحشورًا معهم يوم القيامة، وهذا أشد ما يكون في الوعيد، بحيث لم يرد في شيء من المحرمات مثله، والمراد أن جنس مخالفتهم وتجنب مشابهتهم أمر مشروع وأن الإنسان كلما بَعُدَ عن مشابهتهم فيما لم يشرع لنا كان أبعد عن الوقوع في نفس المشابهة المنهي عنها[٤]، نسأل الله العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

---

(١) أصول البيان العربي: رؤية بلاغية معاصرة، محمد حسين علي، (د.ط) بغداد، العراق، ١٩٨٦، ٧٣.

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبدالهادي السندي، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ٣٣٠/٢.

(٣) سنن الترمذي، ٥٦/٥ (٢٦٩٥) (حديث صحيح) بإسناد ضعيف، والطبراني في الأوسط، ٢٣٨/٧ (٨٣٨٠، والهيثمي، في مجمع الزوائد، ٣٩/٨ (١٢٧٧٩).

(٤) فيض القدير، ٣٨٤/٥.

التحليل السياقي:

حِكم ﷺ بأن المتشبه باليهود والنصارى ليس من المسلمين، فقال ﷺ ــ ليس منا ــ، وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم فقال تعالى: ﴿**فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1].

الثاني: الحث على التشبه بأهل الخير والتقوى والإيمان والطاعة، فهذا حسن مندوب إليه**في حديث ورد عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ يقول: "كان النبي ﷺ يُحِبّ موافقةَ أهلَ الكتابِ فيما لم يُؤمَر فيه، وكان أهل الكتاب يَسْدِلُون أشعَارَهُم، وكان المشركون يَفْرُقُون رءوسَهم، فَسَدَل النبي ﷺ ناصيَتَهُ، ثُمَّ فَرَق بَعْدُ"**[2].

قال ابن بطال: "فإن قال قائل: قول ابن عباس: "كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب" يعارض قول النبي ﷺ **"إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"**، فالجواب: إن حديث ابن عباس يحتمل أن يكون في أول الإسلام في وقت قوى فيه طمع النبي ﷺ برجوع أهل الكتاب وإنابتهم إلى الإسلام، وأحبَّ موافقتهم على وجه التآلف لهم"[3].

---

(١) التوبة: من الآية (٦٩).

(٢) صحيح البخاري، ١٦٢/٧ (٥٩١٧).

(٣) شرح صحيح البخاري، ١٦٠/٩، وينظر: التنكيل أو التقتيل لمن أباح التمثيل، الإمام: أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت:١٣٨٠هـ)، دراسة وتحقيق: أبي عبدالله محمد الأنجري، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ٤٣.

وعلى هذا التوجيه يكون المعنى السياقي:

نهى الله ــ تعالى ــ عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار؛ لأن التشبه بالغير يؤدي إلى تقمص شخصية من تشبه به، مما يؤدي إلى تلاشي شخصية المتشبه وذوبانها في كيان الآخرين، خاصة إذا كان المتشبه مسلم، والمتشبه به كافر، فهذا يكون أخطر وأسوأ، ولهذا كان من حكمة الله ــ عز وجل ــ أن حَرَّم على المسلمين التشبه بغيرهم في عقائدهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، ومظاهرهم، حتى تصان شخصيتهم المتميزة(١).

ويؤازر المعنى السياقي عدة قرائن لغوية:

١ــ حديث أبي سعيد الخدري ﷺ **أن النبي ﷺ قال: "لَتَتَبعُنَّ سَنَنَ من قبلَكُمْ شِبْرا بِشبرٍ وذِراعًا بذراع، حتى لَوْ سَلَكَواْ جُحْرَ ضَبَّ لسَلَكتُمُوه"، قلنا: يا رسول الله: اليهُودَ والنصارَى، قال: "فَمَنْ"**(٢).

وثمة قرينة لغوية أخرى:

٢ــ قوله (لا تشبهوا) تحتمل دلالة زمني التكلم والمستقبل؛ لأن صفة التشبه بالغير موجودة ما دام الإنسان يسعى على الأرض بكل نوازعه ودواخله، فجاء تركيب (ليس منا) مؤكدًا للمعنى وما الجانب الفني في الكلام إلا "أداة مقصودة التأثير الوجداني وإيصال هذا المعنى الديني"(٣).

---

(١) التدابير الواقية من التشبه بالكفار، عثمان أحمد بوكي، رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، جامعة بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلان، ١٤١٧ــ١٤١٨هـ، ٣٠.

(٢) صحيح البخاري، ١٦٩/٤ (٣٤٥٦).

(٣) فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، محمد بن أحمد جهلان، تقديم: محمد بن موسى، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م، ٢٨٤.

وبعد، فهاتان قرينتان جليتان دلتا معًا على انصراف معنى هذا التركيب (ليس منا) (الخروج عن الدين) وحمله على معنى (التحريم).

فضلاً عن ذلك: أن دلالة السياق أوضحت المعنى في صيغة (لا تشبهوا) الدالة على كبر الجرم فهي صيغة دالة على العموم في تحمل هذا الوزر العظيم؛ ليدخل ذلك في باب تحريم ما لا يرضاه الله تعالى، ورسوله الكريمﷺ.

قال السعدي: "فإن التشبه الظاهر يدعو إلى التشبه الباطن والوسائل والذرائع إلى الشرور قصد الشارع حَسْمها من كل وجه"(١).

٣ــ عن عبدالله بن بُرَيْدةَ عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "ليس مِنَّا مَنْ حَلَفَ بالأمَانةِ ومن خَبَّبَ(٢) على امرئٍ زوجته أوْ مَمْلُوكَهُ فليْس منَّا"(٣).

وفي رواية: **عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "ليس منا من خبَّب امرأة على زوجِها أو عبدًا على سيدِهِ"(٤).**

وفي رواية ثالثة: **عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امرِئٍ، أو مَمْلوكَهُ فليْس منَّا"(٥).**

---

(١) بهجة قلوب الأبرار بن حمد آل سعدي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م، ١٤٦.

(٢) **خبب:** أصله من الخِبِّ وهو: الخِداع والخُبث والغِش، "خبب امرأة أي: أفسدها وخدعها بحيث يُزيِّن لها عداوة الزوج بذكر مساوئه أو يذكر محاسن رجل أجنبي عنها فتقارِنُه بزوجها، أو يُحَسِّنُ إليها الطلاق، ليتزوجها أو يزوجها لغيره.

خبب عبدًا على سيده: أي أفسده بأي نوع من الإساد كأن يُزيِّن له الإباق: أي الهرب من سيده، أو طلب البيع أو يهيجه على سوء معاملته، وغير ذلك من أنواع إيقاع العداوة بينهما.

(٣) رواه أحمد، ٨٢/٣٨ (٢٢٩٨٠) إسناده صحيح.

(٤) رواه أبو داود، ٢٥٤/٢ (٢١٧٥)، وهذا أحد ألفاظه، والنسائي في السنن الكبرى ٢٨٢/٨ (٩١٧٠)، ولفظه: من خبب عبدًا على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا.

(٥) رواه أبو داود ٣٤٣/٤ (٥١٧٠)، وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان برقم (١٣١٩).

وفي رواية رابعة: **عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ليس منا من خبَّبَ عبدًا على سَيِّدِهِ، وليس منَّا مَنْ أَفسدَ امرأةً على زوجِهِا، وليس منَّا مَنْ أجلَبَ على الخَيْل يوم الرِّهانِ"**(١).

وفي رواية أخرى: **عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "مَنْ لبِسَ الحريرَ وشرِبَ في الفِضَّةِ ليس منَّا، ومن خبَّب امرأةً على زوجِهِا، أو عبدًا على مَوَالِيه فليس منَّا"**(٢).

المعنى العام للحديث:

في هذه الأحاديث إشارة من رسول الله ﷺ إلى تحريم إفساد النساء على أزواجهن، أو الخدم على أسيادهم، أو إيقاع الشقاق بينهم، وشأن المؤمن دائمًا التعاون والتناصر والإصلاح، وهذه كلها أمراض تفتك بالمجتمع المتماسك؛ لهذا وردت النصوص بتغليظ العقوبة في شأن من يقوم بالإفساد بها، فجاء ﷺ بتركيب (ليس منا).

التحليل السياقي:

المعنى الظاهر لتركيب (ليس منا) الخروج عن الدين والملة، ولكن سياق النص استدعى معنى آخر، وهو التحريم، يؤيده قرينة لغوية:

ـ إذا كان النبي ﷺ قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، فكيف من يريد تطليق امرأة من زوجها ليتزوجها؟ فلا شك أن هذا الفعل من أعظم المحرمات، بل ومن أعظم أفعال الشياطين كما في صحيح مسلم، عن

---

(١) رواه أبو يعلى، ٣٠٣/٤ (٢٤١٣)، الأوسط، ٢٢٣/٢ (١٨٠٣)، والطبراني في اختصار، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٦٥/٥ (٩٣٦٤).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، ١١٥/٥ (٤٨٣٧)، والصغير، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧٧/٥ (٨٢٢٥)

جابر رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ "إن إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماء، ثم يبعَثُ سَرَاياهُ فأدناهُمْ منهُ منزلَةً أعظمُهُمْ فتنةً، يجئُ أحدُهُم فيقُولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنَعتَ شيئًا، ثم يجئ أحدُهُم فيقول: ما تركتُهُ حتى فرَّقْتُ بينَه وبين امرأتِهِ، فيُدْنيه منهُ، ويقولُ: نِعْم أنتَ، فيلتزمُهُ"**(١).

تعليق واستنتاج:

لقد استثمر النبي ﷺ في هذه الأحاديث عنصر مفاجأة السامع بما يُطْرَح وصولاً إلى التأثير فيه، وهذه المفاجأة هي معيار لقيمة تركيب (ليس منا)، حيث إن "قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدَّة المفاجأة التي تُحدثها تناسبًا طرديًا، بحيث كلما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المستقبل أعمق"(٢)، ورسول الله ﷺ لم يقرر الدلالة تقريرًا مباشرًا، بل أفرغها في تركيب (ليس منا)، ابتغى من ورائها تدبر الأمر.

من نواهي الكراهة:

تُعد دلالة النهي من أهم أبواب الشرع؛ لما يترتب عليها من بيان الأحكام المتعلقة بالدنيا والآخرة، وبحث النهي جاء عند الأصوليين من جهة الاهتمام بصيغ التكلف، ولهذا يقول الإمام السرخسي (ت:٤٩٠هـ): "أحق ما يبدأ به البيان: الأمر والنهي؛ لأن معظم الابتلاء بهما وبمعرفتهما تتم معرفة الأحكام ويتميز الحلال من الحرام"(٣).

---

(١) صحيح مسلم، ٢١٦٧/٤ (٢٨١٣).

(٢) الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ط٣، ٨٤.

(٣) أصول السرخسي، أبي بكر السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، الهند (د.ت)، ١١/١.

والبحث في دلالة النهي، وعلاقتها بالسياق يمثل في جوهره بحثًا للدلالة المتعددة للكلمة، حين تكون بمعزل عن القرائن، وأثر السياق في تحديد دلالة واحدة، قال الإمام الشافعي: "أصل النهي من رسول الله ﷺ أن كل ما نهى عنه فهو مُحرَّم حتى تأتي عنه دلالة تدل على أنه إنما نَهى عنه لمعنى غير التحريم إما أراد به نهيًا عن بعض الأمور دون بعض، وإما أراد به النهي للتنزيه عن المنهي والأدب والاختيار"(١).

وقد وردت نواهي في نصوص (ليس منا) محمولة على نهي الكراهة(٢)، ومن تلك الأحاديث:

١ــ رَوَي سَمِرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ عن النبي ﷺ قال: "لا تُسَاكِنُوا المشرِكَينَ ولا تُجَامِعُوهُمْ، فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أو جَامَعهُم فليَس منَّا"(٣).

المعنى العام للحديث:

يوضح النبي ﷺ بأن المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة، فمرافقتهم ومساكنتهم ولو قليلاً سبب لاكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، ولما كان مظنة الفساد نفي غير منضبط علق الحكم به وأدير للتحريم عليه فمساكنتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة(٤).

---

(١) الأم، الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.

(٢) **الكراهة هي:** "خطاب الشرع المقتضى ترك الفعل اقتضاءً غير جازم". (نشر البنود على مراقي السعود، الشنقيطي، ٢٩١).

(٣) المستدرك على الصحيحين، ١٥٤/٢ (٢٦٢٧).

(٤) فيض القدير، ١١١/٦.

التحليل السياقي:

لقد حذرنا الرسول ﷺ من خطورة هذا الأمر، حيث قال: (ليس منا)، لكن تركيب (ليس منا) لم يظهر معناه على النص الحديثي، فما الذي يحيل عليها؟

وللإجابة عن هذا السؤال، لابد من معرفة مركز الاهتمام وبؤرة النص وهي متمثلة في الضمير (ساكنهم أو جامعهم) الذي يحيل إلى الخارج ورغبة منا في الوقوف على الإشارة غير اللغوية، فالرسول ﷺ ولَّد عاطفة استشعرها حال أدائه لتركيب (ليس منا) فاستعملها استعمالاً انفعاليًا يجعلنا نتخيل الموقف وحالة الرسول ﷺ أثناء أدائه الكلمة، ويجدر بنا أولاً أن نقف عند المعنى الظاهري المباشر لتركيب (ليس منا) في الحديث الشريف، لتتضح لنا بعد ذلك معانيه الخفية، ودلالته الباطنة العميقة، وهذا ما سماه الإمام عبدالقاهر الجرجاني معنى المعنى[1]، وما يذهب إليه علماء النحو التوليدي والمعنيون بالأسلوبية ــ كما جاء في فرضية تشومسكي ــ ومؤداها أن التركيب الباطن للجمل قد يكون الأساس العام لدلالة الألفاظ[2].

لقد جاء النهي في الحديث عن السكنى مع المشركين والاجتماع بهم على سبيل الوجوب والإلزام، ويلاحظ أن: رسول الله ﷺ وهو أبلغ البلغاء وأعلم بمقتضيات الأحوال جاء بتركيب (ليس منا) فهذا من بديع الكلام وجزله"[3]، والغرض المقصود من الحديث هو حقيقة النهي وليس الخروج عن

---

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ٢٦٣/١ــ٢٧٥.

(٢) الأسلوب والأسلوبية، كراهم هاف، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، ط١، بغداد، ١٩٨٥م، ٢٣.

(٣) فتح الباري، ٥١٢/٣.

الدين والملة، فالنهي في الحديث عن سلوك يتنافى ومقاصد الشرع والإسلام، وعندئذ، فإن المتلقي لهذا النهي يقف عند حدود الطلب النبوي الكريم ملبيًا مستجيبًا، وبذلك لا نجد سبيلاً إلى حمله على غير الالتزام الذي يتحقق به السلوك الاجتماعي، فكان تركيب (ليس منا) محققًا لهذا الهدف.

هذا وقد اتكأ السياق على قرائن حالية ولغوية:

القرائن الحالية:

١ــ التكرار في النص الحديثي؛ لأن المقام لزمه الإطناب؛ لشبهه بالوعظ، وتحسن الإطالة وبسط الكلام في تفسير الجمل وتكريرها وإفهام العامة، وفي الحديث تكرار لفظي (السكن والاجتماع) وفي حرف العطف، والضمائر، قال أبو هلال العسكري: "وأعلم أنْ المعاني التي تنشأ الكتب فيها من الأمر والنّهي سبيلها أن تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام، لا بجهة كثرة اللفظ؛ لأن حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته، من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى، هذا إذا كان الأمر والنهي واقعين في جملة واحدة لا يقع فيها وجوه التمثيل للأعمال. فأما إذا وقعا في ذلك الجنس، فإنَّ الحكم فيها يخالف ما ذكرناه، وسبيل الكلام فيها أن يحمل على الإطالة والتكرير دون الحذف والإيجاز"(١).

لهذا .. اقتضى المقام في هذا النص تكرير القول، وبخاصة أن الحديث موجه إلى الأمة بأسرها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢ــ التنوع في استعمال الماضي والحاضر؛ وكذا تنوع المتواليات الفعلية بين صيغ الأمر والنهي والطلب، فما أتي به النبي ﷺ معلمًا به أصحابه صلُح في زمانهم ويصلح في زماننا، وزمان من يأتون من بعدنا، فهذا "التنوع في الأفعال يؤدي

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١/١٥٦.

إلى التنوع في الأغراض من التأكيد إلى التقرير إلى الأمر، وهذا يوصي بنوع من المنطقية في التعامل مع النفس البشرية من أجل إقناعها، فاعتماد الخطاب النبوي على أكثر من غرض واحد يعني أنه ليس خطابًا مفروضًا على العقل والوجدان، بل يترك للمخاطب فرصة التفكر والاستدلال بالاستقراء والاستنباط، وبالتالي فهذا التنوع في الأغراض هو من الآليات الاستراتيجية التي اعتمدها الرسول ﷺ والتي تمثل في جوهرها تقنيات حجاجية تقوم على حمل المخاطب على الإذعان والاقتناع"(١).

٣ــ قرينة اقتضاها المقام ودلّ عليها السياق، وحتمتها وظيفة رسول الله ﷺ بين قومه تعليمًا وتهذيبًا، تتمثل في الكراهة، خاصة حين اعتمد الرسول ﷺ أسلوب الشرط وجوابه تعقيبًا على هذا النهي، وتعليلاً له متمثلاً في: "فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا". وذلك ما أكده الإمام الشوكاني أنه تستفاد الكراهية إذا نص النبي ﷺ عن فعل هو له غير محبب وترجح فيه جانب الترك على الإتيان ...(٢).

القرائن اللغوية:

١ــ الضمير في (ساكنهم أو جامعهم) (عنصر لغوي) يحيل على عنصر لغوي آخر (المشركين) فهذا الضمير مكنَّ من تعيين العنصر غير الإشاري ذلك أن "كل عنصر إشاري غير لغوي يُحال عليه باسم إشارة لتعيينه أو بضمير المتكلم أو المخاطب"(٣)، وما الجانب الفني في الكلام إلا "أداة مقصودة للتأثير الوجداني، وإيصال هذا المعنى الديني"(٤).

---

(١) تجليات الحجاج في الخطاب النبوي: دراسة في وسائل الاقتناع، هشام فروم، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، ٢٠٠٨ــ٢٠٠٩م، ١٤٧.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ ــ١٩٩٩م، ٢٥/١ (بتصرف).

(٣) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ١٣١.

(٤) فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ٢٨٤.

٢ــ الجملة الفعلية المكونة من أداة النهي (لا) والفعل المضارع (تساكنوهم) و(تجامعوهم)؛ لما في هذا الأسلوب من قوة وردع لازمين في مواقف تصحيح العقيدة وتقويم الاعوجاج، فالنص خالص في النهي "وهذا يفترض وجود المخاطب وزمنية المقام التخاطبي"(١)، وبهذا فهو موجه إلى مخاطبين معينين متمثلين في الضمير المستتر (أنتم) الذي يفسر الغرض الذي جاء النص لإفادته.

وعليه فيمكن القول:

ــ جاء هذا النص النبوي قويًا في دلالته موجزًا في ألفاظه، غزيرًا في معناه، فـ(لا) هنا نافية للجنس(٢)، وحكم النفي بها يستغرق جنس اسمها كله بغير احتمال، وتسمى (لا) التبرئة؛ لأنها تدل على تبرئة جنس اسمها كله من معنى الخبر(٣)، فهي تفيد المبالغة في النفي، وكأن امتداد الصوت في النطق بها يحكي امتداد هذا النفي وشموله، يقول الرضي: "اعلم أن (لا) التبرئة إنما تعمل لمشابهتها (إنْ) ووجه المشابهة أن (إنْ) للمبالغة في الإثبات إذ معناها التحقيق لا غير و(لا) التبرئة للمبالغة في النفي؛ لأنها لنفي الجنس فلما توغلت في الطرفين أعني في النفي والإثبات فشابهتها فأعملت عملها"(٤).

---

(١) علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، محمد محمد يونس، دار المدار الإسلامي، بيروت ــ لبنان، ٢٠٠٦م، م١، ٦٠.

(٢) "نفي الجنس من مدلول الخبر على سبيل الاستقصاء، فهي لنفي الكينونة التي هي صفة الجنس، وجاز أن يكون المنفي لوحدة أو الفرد، وجاز أن يكون الجنس أو عموم الأفراد". (ينظر: التراكيب اللغوية في اللغة العربية: دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م، ٣١٣).

(٣) شرح الكافية، الرضي، ١٩٠/٢.

(٤) مغني اللبيب، ٢٦٤/١.

ـ الدلالة السياقية لهذا النص النبوي هنا هي الوثوق في الامتثال بهذا النهي، فأخبر النبي ﷺ إخبار الشيء الحاصل الذي يخبر عنه، فاستخدام النبي ﷺ النفي لتأكيد هذه الغاية والكشف عن حقيقة مستقبلية حاصلة لا محالة، حتى لا يظن السامع أن الأمر تنبؤ أو تخمين فقط، فاستخدم ﷺ النفي ليجعل من قوله حقيقة قائمة. قال بعض الأصوليين: "(لا) إذا كانت نافية أبلغ في الخطاب من النهي؛ لأن النهي يتضمن أن الحكم قد كان قارًا قبل وروده، والنفي يتضمن الإخبار عن حالته وأنها كانت منفية فلم تكن ثابتة قبل ذلك"(١).

لهذا جاء النهي عن السكنى والاجتماع، في أبلغ صورة، وأتم معنى، وأوجز لفظ، ليقع هذا النهي موقعه من نفوس المسلمين، ويزداد تأكيده بتركيب (ليس منا) فلا يملكون أمام روعة البيان والأداء إلا التسليم والإذعان.

تعليق واستنتاج:

لم يخصص الرسول ﷺ بـ(ليس منا) ما استدعاه الموقف من كلام، بل انطلق إلى العموم، وبيان الالتزام بظاهر معناه، ولقد استدعى هذا الحث والالتزام تركيب (ليس منا)، وهكذا يسلك النبي ﷺ أسلوب التصريح بعد الإبهام من خلال الإيجاد بالمعنى المراد دون إظهاره؛ ليأتي التصريح بعد أن تتوق النفس للمقصود من خلال تفسيره ﷺ ، هذا التفسير جعله البلغاء بابًا من أبواب الفصاحة. قال الصنعاني: "ومن أنواع الفصاحة ما يسمونه التفسير،

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م، ٢٩٥/٣ وما بعدها.

والتفسير ما يبتدئ به القائل مجملاً"[1]، "وهو أن يأتي المتكلم في أول الكلام بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون أن يفسر"[2].

وفي ذلك ما فيه من بلاغة وإيضاح، فضلاً عما له من أثر في النفس بما يحمله إليها من معاني ودلالات "والفائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في تصحيح المعاني وإخراجها من المناقصة والفساد إلى معنى الصواب والحق، وقدح الفطنة في ذلك واستنجاد الرأي في استخلاصها"[3].

(١) الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية، الصنعاني، تحقيق: عبدالمجيد الشرفي، ليبيا، تونس، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٦م، ١٦٩.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٨٥.

(٣) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، بغداد، ١٣٨٧هـ ـ١٩٦٧م، ١٤٧.

المبحث الخامس

أثر السياق في دلالة الإنكار التوبيخـــــي[1]

توطئـــــة:

يأتي هذا الغرض لإنكار مضمون الاستفهام للمتكلم فيما استفهم عنـــه، فيكون الاستفهام مضمناً معنى الإنكار، ولو أتي الإنكار دون أن يخرج بصورة الاستفهام لأصبح مكشوفًا، وكان موقفه في النفس دونما إثارة للنكر.

وقد جعل الجرجاني الإنكار أحد أربعة مقاصد للاستفهام المجـــازي[2]، وهو نوعان: **إنكار إبطالي**، ويؤتي به لتكذيب المخاطب أو إبطال قوله، كقوله تعالى: **﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَـــوْلاً عَظِيمًا﴾**[3]، أي لم يكن من الله اصطفاء ولا اتخاذ، **والنـــوع الثـــاني:** إنكـــار توبيخي لتوبيخ المخاطب على ما وقع منه في فعل مذموم[4].

ومن شواهد الإنكار التوبيخي الحديث الذي رواه:

---

(١) الإنكار ــ عند أهل اللغة ــ خلاف الاعتراف (مقاييس اللغـــة، ٤٧٦/٥، ن ك ر)، مأخوذ من قولهم: نَكِرَ الشيء وأنكَـــره، لـــم يَقبله قلبُه، ولم يعترف به لسانه (مقاييس اللغـــة، ٤٧٦/٥، ن ك ر)، والتوبيخ ــ في اللغة ــ الملامة. (العـــين، ٣١٥/٤، خ ب و)، ومنه يقال: "وبَّخه بسُوءٍ توبيخاً، إذا لامَـــهُ وعَذَلَـــه" (تـــاج العروس، ٣٦٣/٧، و ب خ).

(٢) دلائل الإعجاز، ١١٤/١ــ١١٩.

(٣) الإسراء: الآية (٤٠).

(٤) الكشاف، الزمخشري، ٢٤/١.

١ــ أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبْرَةِ طَعَام[١]، فأدْخَلَ يَدَهُ فيها فنالتْ أصابِعُه بَلَلاً، فقال: "ما هذا يَا صاحِبَ الطَّعَامِ[٢]؟"، قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ[٣] يا رسول اللهِ، قال: "أفلاَ جعلْتَهُ فوقَ الطَّعَامِ حتَّى يرَاهُ النَاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْس مِنِّي"[٤]، وفي رواية: "مَنْ غَشَّنَا فلَيْسَ منَّا"[٥].

وقد ورد الحديث بروايات متعددة "ففي رواية: **"مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"**[٦]، **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا"**[٧]، وفي أخرى **"لَيْسَ مِنَّا مِنْ غَشَّ"**[٨]، وفي رواية ثالثة: **"ليس مِنَّا مَنْ غَشَّنَا"**[٩]، وفي رابعة: **"مَنْ غَشَّ فلَيْسَ مِنَّا"**، وفي خامسة: **"ألا مَنْ غَشَّنَا فليْسَ منَّا"**[١٠].

---

(١) **صُبرة طعام:** صبرة بضم الصاد وإسكان الباء، قال الأزهري: "الصبرة: الكومة المجموعة من الطعام، سميت صُبرة لإفراغ بعضها على بعض ومنه قيل للسحاب فوق السحاب صبير (أصباته السماء)، أي: المطر. (تهذيب اللغة، ١٢٢/١٢، ص ب ر).

(٢) صاحب الطعام، أي: بائع الطعام.

(٣) أصابته السماء، أي: المطر.

(٤) صحيح مسلم، ٩٩/١ (١٠٢)، وانفرد به البخاري، وأخرجه الترمذي ٥٩٨/٣ (١٣١٥).

(٥) سنن الترمذي، ٥٩٨/٣)١٣١٥).

(٦) أخرجه مسلم، ٩٩/١ (١٠٢)، والطحاوي في مشكل الآثار، ٣٥٢/٣ (١٣١٠).

(٧) سنن الترمذي، ٥٩٨/٣ (١٣١٥).

(٨) سنن ابن ماجه، ٧٤٩/٢ (٢٢٢٤).

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ١٠/٢ (٢١٥٣).

(١٠) أخرجه أبو يعلى في (مسنده) ٢٣٣/٢ (٩٣٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ١١/٢ (٢١٥٣).

وعن سُهَيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ مختصرًا مرفوعًا بلفظ "مَنْ غَشَّنَا فلَيْسَ مِنَّا"(١)، وأما حديث الحارث بن سُوَيد النَّخعِيُّ قال: "خرج رسول الله ﷺ إلى البقيعِ، فرأى طَعَامًا يُبَاع في غَرَائِرَ، فأدخلَ يَدَهُ، فأخرَجَ شيئًا كَرِهَهُ، فقال: "من غشنا فليس منا"(٢).

وعن عبدالله بن مسعود مرفوعًا بلفظ: "مَنَ غَشَّنا فليس منا، والمَكْرُ والخِدَاعُ في النَّارِ"(٣)، وفي رواية أخرى للحديث عن أنس بْن مالك ﷺ قال: "خَرَجَ رسُولُ الله ﷺ إلى السُّوق فَرأى طَعَامًا مُصْبَرًا، فأَدخَل يَدَهُ فيه فَأخْرَجَ طَعَامًا رَطْبًا قد أَصَابَتْهُ السَّماءُ، فقال لصاحبِهِ: "ما حَمَلَك على هَذا"؟ قال: والَّذي بعثَك بالحَقِّ إنَّهُ لطَعَامُ واحدُ، قال: "أَفَلا عَزَلْتَ الرَّطْبَ على حِدَةٍ واليابِسَ على حِدَةٍ، فَيَبْتَاعُون ما يعْرِفون، من غشَّنَا فليْسَ مِنَّا"(٤).

وعن قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ ﷺ قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ برَجُلٍ يبِيُع طَعَامًا، فقال: "يا صاحِبَ هذا الطَّعام أَسْفَلُ هذا مِثْلُ أعلاهُ؟" فقال: نعَمْ يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ : "مَنْ غَشَّ المسلمين فليس مِنْهُم"(٥).

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مَرَّ برَجُلٍ يَبيعُ طَعَامًا فسأَلَهُ كَيْفَ تبِيعُ؟ فَأَخْبَرَهُ فَأُوحِيَ إِلَيْه أَنْ أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ فَإِذَا هُو مَبْلُولٌ، فَقَال رسولُ الله ﷺ "لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ"(٦).

---

(١) صحيح مسلم، ٩٩/١ (١٠١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ١٢/٢ (٢١٥٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٦٩/١٢ (٥٥٥٩)، والطبراني في (الصغير ٣٧/٢ (٧٣٨، والكبير ١٣٨/١٠)، بإسناد جيد.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط ٣٣٤/٢، ٣٣٥، ١٢٣/٤، بإسناد جيد، والهيثمي، مجمع الزوائد، ٧٩/٤ (٦٣٤٨)

(٥) رواه الطبراني في الكبير، ٣٥٩/١٨ (٩٢١)، ورواته ثقات، والهيثمي، مجمع الزوائد، ٧٩/٤ (٦٣٤٤).

(٦) سنن أبي داود، ٢٧٢/٣ (٣٤٥٢).

المعنى العام للحديث:

قال ابن رشد الجدّ في معنى الحديث (من غشنا فليس منا)، "أي: ليس على مثل هدينا وطريقتنا؛ لأن الغش لا يخرج الغاش من الإيمان، فهو معدود في جملة المؤمنين، إلا أنه ليس على هديهم وسبيلهم؛ لمخالفته إياهم في التزام ما يلزمه في شريعة الإسلام من النصح لأخيه المسلم، ... قال: وقد يحتمل أن يحمل قوله "من غشنا فليس منا" على ظاهره فيمن غشّ المسلمين مستحلاً لذلك؛ لأن من استحل التدليس بالعيوب والغش في البيوع وغيرها، فهو كافر حلال الدّم يستتاب، فإن تاب من ذلك وإلا قتل"(١).

وقال الشيخ محمد عبدالعظيم آبادي: "ليس منا من غش"، "قال الخطابي: معناهُ ليس على سيرتنا ومذهبنا، يريد أن من غشَّ أخاه وترك مناصَحَتَهُ فإنه قد ترك إتباعي والتمَسُّكَ بسُنَّتي، وقد ذهب بعضَهَم إلى أنه أراد بذلك نفيه عن الإسلام وليس هذا التأويل بصحيح، وإنما وَجْهُهُ ما ذَكَرْتُ لك، وهذا كما يقولُ الرَّجلُ لصاحبه أنا مِنْكَ وإليكَ، يريدُ بذلك المتابعةَ والموافقةَ"(٢)، ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(٣)، فالمقصود من الحديث ذم الغاش، وأنه ليس على سنن وطريقة وصفات المسلمين، ولا يدل الحديث على كفر الغاش وأخرجه من الملة.

---

(١) المقدمات الممهدات، ابن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م، ١٠٠/٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ٢٣١/٩، معالم السنن، الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ١٩٣٢م، ١١٨/٣، باب النهي عن الغش.

(٣) سورة إبراهيم: من الآية (٣٦).

التنظير بين روايات الحديث وأثرها في الدلالة:

لا يوجد تعارض بين روايات الحديث المختلفة، فالحديث له ألفاظ متعددة، فقد ورد (من غشنا فليس منا)، وهذا خاص ببعض المسلمين دون غيرهم، و(من غش فليس مني)، (ومن غش فليس منا)، وهذا لفظ عام يشمل المسلمين وغيرهم، ولا منافاة بين هذه الروايات؛ لأن المعنى الخاص يدخل في المعنى العام كما هو مقرر عند الأصوليين.

وكذلك فإن الرواية الأولى: (أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام..." قد وردت في حالة خاصة، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر عند الأصوليين أيضًا، فألفاظ الحديث تعم كل غش سواء كان في معاملة مسلم أو غير مسلم.

ومن المقرر عند العلماء أن حرمة الغش عامة في غش المسلمين وغيرهم، "وأشار إليه في الحديث الأصل بقوله: في البيع والشراء إيماءً إلى أنه سبب الورود، وإلا فالغش مطلقًا مذموم"(١).

وخلاصة الأمر:

أنه لا يوجد تعارض بين روايات الحديث ويمكن الجمع بين الروايات في معنى عام يبين نظرة الإسلام في عقوبة الغاش وبالجمع بين الروايات نحصل على صورة كاملة لهذه الواقعة، وبيانها كالآتي:

---

(١) شرح مسند أبي حنيفة، علي بن سلطان الهروي، تحقيق: الشيخ خليل محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط٦، ١٤٠٥هـ ــ١٩٨٥م، ٢٣٦/١ (ليس منا من غش في البيع والشراء).

ـ أن الحديث يدل على تحريم الغش، وهذا مجمع عليه[1]، ومن باع شيئًا، وبه عيب، وهو عالم به، فقد غش[2]، فيكون داخلًا في عموم الحديث.

ـ ولكي لا يظن أحد أن الأمر متعلق بالأمة الإسلامية فقط كما يمكن أن توهمه عبارة (من غشنا) فقد جاء الحديث في رواية أخرى بلفظ **(لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ)**، فيصير الغش منهي عنه من غشنا كمسلمين أو غش غيرنا من غير المسلمين.

التحليل السياقي:

ينكر سول الله ﷺ على العربي غشه وذلك بإخفائه الطعام الفاسد تحت الصحيح، ليظهر فقط البضاعة السليمة، وفي هذا الإنكار مسحة من التقريع والتبكيت، فقد قام هذا الأعرابي بعملية غش، وهذا أمر مرفوض في ديننا الحنيف، ولما كان هذا الموقف يجب استنكاره، وأيضًا كان أسلوب الاستنكار لابد أن يكون بطريقة حكيمة وبأسلوب حسن، فلا يستحسن أن يقال له أنت غشاش، وكان عليك أن تضعه فوق الطعام، فالرسول ﷺ في هذا المقام استخدم تركيب (ليس منا) فأوصل الفكرة بأسلوب فيه رأفة ورحمة ولين، فهو ﷺ حين يعاتب يعدل إلى أسلوب يخفف من حدة العتاب للمعاتب.

وبإنعام النظر في هذا النص الشريف برواياته المتعددة، يتبين أن السياق قد استدعى معنى (الإنكار والتوبيخ)، ثم معنى آخر يتسق ووجهة النص، ويواطئ بغية السياق وهو الدلالة على التعجب من حرص الرسول ﷺ على السؤال (ما هذا يا صاحب الطعام؟) كأنه قد تعجب ﷺ بإخفائه الطعام الفاسد تحت السليم، والحجة التي ارتكز عليها السياق في إيثاره هذين المعنيين (الإنكار والتعجب) تبرز من عدة قرائن حالية ولغوية:

---

(١) نيل الأوطار، الشوكاني، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م، ٥/٢٥١.

(٢) التهذيب، البغوي، ٣/٤٣٥.

القرائن الحالية:

الأولى: التي اعتبرت في فهم النص، عائدة إلى قصد المتحدث التي تدرك من شواهد الحال، فلم يكن حال سؤاله قاصدًا الخروج من الملة، فالنص جاء بصيغة الأسلوب الخبري، ويحمل الغرضين معًا، فائدة الخبر الذي يقوم على أساس إفادة المخاطب (المسلمين)، ولازم الفائدة الذي يدل على أن المتكلم عالم بالحكم. أما عن أضرب الخبر فهي من الضرب الابتدائي الخالي من التوكيد الذي يقتضى أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم أو مضمون الجملة فيلقي إليه الكلام من غير أدوات توكيد، وجاء الضرب ابتدائي؛ لأن الخطاب ليس موجهًا إلى مخاطب بعينه، وإنما إلى سائر المسلمين، كما أن الضمائر العائدة (فَأُوحِيَ إليه) مكنت من ربط النص بسياقه الخارجي، ومن تصوير الجو التعليمي الذي يعكس سياق الموقف بعناصره.

الثانية: عند معرفة سبب ورود هذا النص الحديثي يتبين من خلاله: أنه سياق اجتماعي؛ لأن ما يحيط بالنص أمر اجتماعي متعلق بالبيع والشراء، لكن الغالب عليه هو السياق الانفعالي الذي "يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالاً"(١)، وسبب الورود الذي ذكر في الحديث نفسه، هذا ــ حسب وجهة نظري ــ ملاءم لأسلوب الحوار الذي ينبني عليه النص، ولو أمعنا النظر في قوله ﷺ كيف تبيع؟ يتضح أن هذا القول مكَّنَ من بيان الغرض الذي من أجله سيق الحديث، وتعبيرًا عن سبب مجيء الرسول ﷺ إليه، وانعكاسًا لقصد المتكلم (الرسول ﷺ)، وبتأمل السياق الخارجي (سياق الموقف) وتركيزًا على لفظ (رجل) المذكور في الحديث يتبين أن هناك علاقة بين النص وسياقه الخارجي، هذه العلاقة في الحقيقة تتوزع

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ٢٠٠٩م، ٧٠.

على النص وتظهر جليًا في عبارة (فَأُوحِيَ إليه) كما سبق والتي حققت الربط وأزالت الغموض، ووضحت أخلاق الرجل، وتجسدت عناصر سياق الموقف في:

ـ **المتكلم:** الرسول ﷺ.

ـ المخاطَب (البائع أو التاجر).

ـ **العلاقة بينهما:** علاقة الرسول ﷺ بالبشر.

ـ **المشاهدون:** الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ

ـ **المكان:** عند التاجر.

ـ **الزمان:** ذات يوم في عهد النبي ﷺ.

ـ **الوضع الجسمي (الحركة الجسمية):** وضع يده ﷺ في السلعة.

ـ **صفة الرسالة:** سؤال / جواب.

الثالثة: وظف السياق في الجملة المذيل لها في قوله ﷺ : "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس" التي أومأ فيها ﷺ إلى مخادعة البائع للناس واحتياله عليهم ببيعهم البر المغشوش، وهكذا يبلغ أسلوب النفي للمطلب من كلام النبوة الكامن في تحذير البائع الغاش وتوبيخه، وإنذاره؛ ليرتدع ويمتنع عن الإقبال على البيع المحرم.

الرابعة: تعقب جملة التذييل الجملة المذيل لها لتؤكد مضمونها بعد أن اشتملت عليه، وتتمثل في قوله ﷺ : "من غش فليس مني"، الذي يعلن فيه نبي الأحكام والمعاملات ﷺ براءته من الغاش، والمقصود به (البائع) ومن كل غاش[1].

(١) من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، نعم هاشم الجماسي، المدينة ـ بغداد، ط٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ١٩٨، ١٩٩.

الخامسة: سياق الفعل الماضي (غش) مختص بالحاضر والمستقبل، بأن مدلولها الزمني غير مقصود، فهي مطلقة من المضي مخالفة لظاهر الوضع، وسر العدول عن التعبير بفعل الحاضر أو المستقبل، التأكيد على حصول الجزاء المترتب على الفعل في مقام الترهيب أو الترغيب تصويرًا له بصورة الواقع، ليتجنب أو ليلتزم(١).

القرائن اللغوية:

١ــ الاستفهام في قوله ﷺ (ما هذا يا صاحب الطعام؟) حيث دل الاستفهام على التوبيخ والإنكار، فهذا الاستفهام دل على أن السياق قد آثر دلالة المصطلح (ليس منا) على التوبيخ والإنكار.

٢ــ قوله ﷺ ردًا على عذر المعتذر: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟) حث على المكاشفة والشفافية والوضوح عوضًا عن التدليس وإخفاء الحقائق والمعطيات، وهو أمر يشمل كل مجالات الحياة، لكن المقصود هو التوبيخ والإنكار والوعيد الذي يتوعد به النبي ﷺ ومن يقع في الغش وهو قوله ﷺ (ليس مني)، و(ليس منا).

كل هذا يشعر القارئ بشدة حرص الرسول ﷺ وحسن فطنته وكياسته ورجاحة عقله، مما يرجح حمل هذا التركيب (ليس منا) على إفادة الإنكار والتوبيخ، ويستبعد إرادة المعنى اللغوي من الدعاء عليه بالخروج عن الملة والدين، "فالسياق لا يلي النص ولا يوازيه، ولكنه يرافقه، يتدخل في تشكيل البنية وتوجيه الخطاب"(٢).

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ٣٥٢.

(٢) النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، محمد عبدالباسط عيد، تقديم: صلاح رزق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ ــ٢٠٠٩م، ٢٦.

وهكذا يتضح أن السياق غير اللغوي (سياق الموقف) له أثره البارز في فهم معنى النص، وفي تكملة المعنى الدلالي، فكلما كانت المعرفة كافية بعناصر سياق الموقف كلما أدى ذلك إلى فهمٍ أدقٍ للنص؛ إذ "من الضروري أن نعرف ــ على الأقل ــ من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب"(١).

تعـــــــــليق واستنتاج:

الحوار: كان الحوار هو أداة التشكيل لما جاء في البيان النبوي السابق من أساليب، وأسلوب الحوار من أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها النبي ﷺ في إقامة هذا الدين الحنيف؛ لأن الحوار أساس التواصل بين الناس.

وقد جاء في هذا الحديث الشريف الفعل (قال) ووصل الحوار بالفاء في (مسألة) إنما يخضع لمتطلبات السياق، ومناسبة المقام، فإذا جاء فعل القول معطوفاً بالفاء (فقال) فللإشارة إلى توالي الأحداث على وجه يخدم سرعة النص ويربط بين الأسباب ومسبباتها، وهذا المعنى راجع إلى طبيعة الفاء وما تدل عليه من الإسراع والتعقيب، فما جاء معطوفاً بالفاء روعي فيه خصوصية في القول توجب ارتباطه بالأول ارتباط التابع بمتبوعه، فتدخل (الفاء) للدلالة على أن المعطوف مسبب عما قبله، وليس مستقلاً عنه(٢).

ويزيد الدكتور محمود توفيق سعد بيان هذه الخصوصية، فيقول: "فالفاء حين تقرن بفعل القول في باب المحاورة، إنما يرمي بها إلى إبراز أن هذا القول ما كان له أن يكون إلا لما سبقه من قول إيماء إلى شديد استدعاء المقام

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ــ الرياض، ١٩٩١م، ٢٩٧.

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء)، (ثم)، د. محمد الأمين الخضري، ط١، ١٤١٤هـ ــ١٩٩٣م، ١٠٥ وما بعدها

له، فضلاً عن إبراز عنصر التعقيب، وأنه قول لم يتكلف له قائله، وأن داعيه كان أقوى من أن يحمل المرء مؤنة الصبر عنه"[١].

التعريض: من الأساليب العربية العريقة التي كانت تستعملها العرب في كلامها كثيرًا، (فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح)[٢].

وقد سلك النبي ﷺ هذا السبيل رأفة بأمته واحترازًا عن المكاشفة، فكان يصل من خلال إلى ما يريد محققًا غرضين:

أولهما: إفهام المقصود بالخطاب ما أراد من توبيخ وإرشاد،

وثانيهما: تعميم الخطاب، وإخراج اللفظ من إسار مناسبته، لينطلق في رحاب المعنى في بيان يعم ويشمل السامعين من هم وأينما وجداْ.

وقد رجح العلماء التعريض على التصريح، وذكرواْ لذلك وجوهًا نستشف ظلالها في الخطاب النبوي لحديث (من غشنا فليس منا):

أحدها: أن النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعاني تميل إلى التعريض شغفًا باستخراج معناه بالفكر.

ثانيها: أن التعريض لا يُنتَهك معه سجف الهيبة ولا يرتفع به ستر الحشمة.

ثالثها: أنه ليس للتصريح إلا وجه واحد، وللتعريض وجوه وطرق عدة.

رابعها: أن النفي الصريح يدعو إلى الإغراء، بخلاف التعريض كما يشهد الوجدان[٣].

---

(١) فقه بيان النبوة؛ منهجًا وحركة، د. محمود توفيق سعد، مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٠٥م، ٣١.

(٢) قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٦٧هـ ـ١٩٤٨م، ٤٤.

(٣) أنوار الربيع، في أنواع البديع، علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ ـ١٩٥٣م، ٦٧/٦.

المبحث السادس

أثر السياق في دلالة الإرشـــــاد والاحتيــاط

توطئـــــة:

الإرشاد: هو الدلالة على الأفضل من الأمور، وهو في استعمال الفقهاء يعني الدلالة على الخير والمصلحة، سواء أكانت دنيويّــة أم أخرويّــة. لكــن الإرشاد يطلقه الأصوليين على تصرفات النبي ﷺ التي ترشد إلى الأفضل من منافع الدنيا خاصة، فهم يقولون: "إن المندوب مطلوب لمنافع الآخرة، والإرشاد لمنافع الدنيا"(١).

والاحتياط: يعتمد على ما هو أحوط؛ لأنه فيه بــراءة الذمــة، وإزالــة التردد؛ لما يستلزمه من حمل الشيء على أعلى مراتبه(٢)، وهو ما يؤدي إلى تطبيق شامل لجميع متضمن ذلك الشيء ومقتضياته، ولا يخفى أن الاحتيــاط ليس معنى ذاتيًا في اللفظ، بل هو معنى خارج عن ماهية اللفظ، إذ هو قــانون عقلي يراد به الخروج إلى ما تطمئن إليه النفس، في كل محل وقع فيه التردد بين مراتب يطلب الحكم فيها(٣).

والأحاديث الشريفة الآتية تبرز لنا تلك الدلالة:

١ــ عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ : "لــيْسَ مِنَّــا مَــنْ وطِــئَ حُبْلَى"(٤).

---

(١) جهود المالكية في تصنيف التصرفات النبوية، د. سعد الــدين العثمــاني، دار الكلمــة، ط١، ١٤٣٤هـ ــ٢٠١٣م، ٦٥.

(٢) إرشاد الفحول، ٧٥.

(٣) منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية الوضعية، مولود السريري، دار الكتــب العلميــة، بيروت ــ لبنان، ١٤١٨هـ، ١٢١.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي ٢٩٩/٤ (٧٦٠٠)، والحديث رواه الإمام أحمــد، ١٦٢/٤ (١٢٠٩٠)، والطبراني، في المعجم الكبير، ٣٩٠/١١ (٣٩٠) صحيح لغيره وإسناد ضعيف، والمقصــود هنا: المرأة غير المتزوجة؛ لأن علة التحريم حتى لا يسقى ماءه زرع غيره.

المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث يشير النبي ﷺ إلى النهي عن وطئ الحامل قبل استبراء رحمها، وهذا التحريم للمرأة الحامل المطلقة، أو التي مات عنها زوجها، لا يجوز وطؤها حتى تضع حملها، وتنقضي عدَّتُها، وانقضاء العدة بوضع الحمل، وفي هذا استبراء لرحمها قيل: "إنها من المحللات ــ أي المرأة الحبلى ــ بالنص وحرمة الوطئ كي لا يسقى ماءه زرع غيره، والامتناع في ثبات النسب لحق صاحب الماء"(١).

لأجل هذا، نهى النبي ﷺ عن وطئ الحامل حتى تستبرأ لرحمها، فقال: (ليس منا)، أي: ليس على طريقتنا وهدينا من فعل مثل هذا الفعل.

التحليل السياقي:

عمد الأصوليون إلى تنصيب الدلالة النصية أداة من أدوات استنباط المعنى وقراءة النصوص، فالذهن ينصرف من خلالها ويهتدي إلى المعاني المقصودة بواسطة العلاقة التطابقية الحاصلة بين الدال والمدلول، وليس بحاجة إلى القرينة لفهم الخطاب؛ إذ الاستعانة بهذه الأخيرة يجب عند انصراف العقل من الدلالة التطابقية إلى العلاقة التلازمية، بدليل واضح، وهذا ما أشار إليه السجلماني (ت:٧٠٤هـ) بقوله: "إن اللفظ الدال إما أن يتحد مدلوله وإما أن يتعدد، فإن اتحد مدلوله فهو النص"(٢)، ويقول ــ أيضًا ــ في شأن الانتقال بالقرينة: "إذا قطع الدليل على أن المراد بلفظ ما الدلالة المجازية فهو نص بالقرينة"(٣).

---

(١) الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر الفرغاني، ١٨٢/١، دار إحياء التراث العبي، بيروت، لبنان.

(٢) المتربع البديع في تجنيس البديع، السجلماني (ت:٧٠٤هـ)، ترجمة: علال الغزي، مكتبة المعارف، الرباط ــ المغرب، ١٩٨٠م، ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٣٢.

واستقراء عام لما قُدّم نخلص إلى الآتي:

ـ الظاهر من النص تميزه بكثرة المداليل فيه وطرق الاحتمال إليه، بمعنى أن العلاقة اللسانية (ليس منا) تدل بمنطوقها على معنيين، مما يستدعي تغليب وترجيح أحد المعاني على حساب الآخر، فإن تمَّ تغليب المعنى الراجح على حساب المعنى المرجوح فذاك الظاهر، وإذا كان الأمر بخلافه فهو المؤول، إذن "الظاهر وهو: ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره"(١)، فإذا وجدت القرينة الموجهة للخطاب أخذ فيه بالوجه المرجوح الذي يصبح بمساندة القرينة هو الظاهر.

ـ هذا النص يفهم منه معنى الخروج عن الدين والملة، ولكن مع قرينة السياق يلزم الانصراف إلى المعنى الآخر (الإرشاد والاحتياط) وصرف النص عن المعنى الظاهر، فالكلام إذن على ما سبق عليه من ترتيب يحصل بموجبها فهم الخطاب وتعقل المعنى بواسطة إعمال آليات الغموض من المؤول.

ويُلمح هذا ويُدرك من خلال سياقين:

ـ **السياق اللغوي ذاته:** أي ما يتعلق بصيغة الخطاب نفسها، وبالتالي لا يمكن فهم المجمل إلا من داخل النص العامل، وأن طلب المراد فيه يكون من أحد موضعين:

١ـ إما نص آخر. ٢ـ وإما إجماع.

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ أن النبي ﷺ قال في سَبَايَا أوطَاسَ: "لا تُوطَأُ حَامِلُ حَتَّى تَضَعَ ، ولا غَيْرُ ذات حَمْلٍ حتى تَحِيضَ حَيْضَةً"(٢).

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامه المقدسي، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م، ٥٠٨/١.

(٢) رواه أبو داود في سننه، ٢٤٨/٢ (٢١٥٧).

ما ثبت من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أَنَّهُ أتي بامْرأَةٍ مُجِحٍّ على باب فُسْطَاطٍ، فقال: (لعلَّهُ يُرِيدُ أنْ يَلُمَّ بها)، فقالواْ: نعَم، فقال رسول الله ﷺ: (لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أَلَعَنَهُ لعْنًا يَدْخُلُ معه قَبْرَه، كيفَ يُوَرِّثُه وهو لا يحلُّ له؟، كيفَ يستخدِمُهُ وهو لا يَحلُّ له؟)(١).

عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابت الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يَحِلُّ لامرِئٍ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يَسْقِي ماءه ولد زَرْعِ غيره"(٢).

فليس المراد هنا النهي عن وطئ حليلته الحبلى كما قد يتوهم لما مَرَّ أنه هم أن ينهي عنه ثم رجع(٣).

ـ **السياق التداولي:** أي تدخل المتكلم لتوضيح المراد به من صيغة النص والخطاب.

فظاهر النص يقتضي المحال، ومن ثَمَّ كان المراد به مشتبهًا ويحتاج في معرفته إلى الرجوع إلى غيره من المحكمات.

وبهذا تضمن الحديث أمرين، لكل منهما معارض: فصدره هو الذي تقدم (ليس منا من وطئ الحبلى)، وقد عارضه ما سبق من نص، وعجزه: ما ترتب على عدم التفكير عن معنى مغاير، ولا ريب أن منع وطئ الحبلى مما يتعذر على الرجل الصبر عن امرأته مدة الحمل، ولو كان وطؤهن حرامًا لكان معلومًا من الدين، وكان بيانه من أهم الأمور، ولم تهمله الأمة، فَعُلِمَ أن الحديث على وجه الإرشاد والاحتياط، والمنع غايته أن يكون من باب سد الذرائع التي قد تُفضي إلى الإضرار، وقاعدة باب سد الذرائع إذا عارضه مصلحة راجحة، قدِّمت عليه.

---

(١) صحيح مسلم ١٠٦٥/٢ (٤٤١)، **مُجحٍّ**: هي الحامل التي قربت ولادتها، **فسطاط**: نحو بيت الشعر. **يلم بها**: أي يطؤها وكانت حامل مسيبة لا يحل جماعها حتى تضع.

(٢) رواه داود ٢٤٨/٢ (٢١٥٨).

(٣) فيض القدير، ٤٩٦/٥.

نستشف من هذا: أن القارئ والمتلقي لا يحق له أن ينتقي دلالة دون سند معين يكون ظهيرًا له، فالتميز بين الدلالات الاحتمالية رهين نص آخر يحسم النزاع الدلالي للتركيب على مستوى الخطاب.

من خلال ما سبق تبين ضرورة الوعي بتركيب (ليس منا) وخروج معناها من دائرة الخفاء إلى دائرة التجلي، وإعمال الفكر في التوصل إلى باطن اللفظ إعمالاً صحيحًا يحقق وضوحًا للرؤية في جانب الدلالة.

٢ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّهُ سَمِع النبي ﷺ يَخْطُبُ على المِنْبَرِ يقولُ: "اقْتُلُواْ الحيات(١)، واقْتُلُواْ ذَا الطُّفْيَتَيْن(٢)، والأَبْتَرَ(٣)، فإنَّهُمَا يَطْمِسَانِ البَصَرَ ويَسْتَسْقطان الحَبَل"، "قال عبدُالله: فَبَيْنَا أنا أُطَارِدُ حَيَّةً لأقتلها فَنَادَاني أَبُو لُبَابَةَ: لا تَقْتُلْها، فَقُلْتُ: إنَّ رسُولَ الله ﷺ قَد أَمَرَ بَقَتْلِ الحيَّات، قال: إنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذلك عن ذوات البيُوت، وهيَ العَوَامرُ(٤).

---

(١) يختلف الدارسون في اشتقاق هذا اللفظ، فهناك من يرى أن "اشتقاق الحية من الحياة"، وهناك من يرى بأن "اشتقاق الحية من حوّيَت؛ لأنها تتحوى في لوائها". (المخصص، ١٠٦/٨)، و"الحية: الحنش المعروف ... تكون للذكر والأنثى". (لسان العرب، ٢٢٠/١٤ ح ي ي) وعلى العموم فالحية معروفة فهي حنش عظيم لا حياة بعد لدغتها، تفترس الحيوانات والإنسان بالتوائها عليهم حد الاختناق.

(٢) **الطُّفْيَتَيْن** من الحيات يتميز "بجُدَدٍ في ظهره بيض وسود". (المخصص، ١٠٨/٨)، "وله خطان أسودان" (الغريب المصنف، ٣٣١/١) سمي بذلك نسبة إلى الطفي: "خوص المقل"، والمقل هو: حَمل الدوم وهو شجر كالنخل (المخصص، ١٠٩/٨). إذن فقد شبه الخطان الأسودان اللذان على ظهر هذه الحية بخوصتين من خوص المقل أي طُفْيَتَيْن، وبها سميت هذه الحية.

(٣) **الأبتر:** هو "القصير الذنب من الحيات". (الغريب المصنف، ٣٣١/١)، "خبيث أزرق يفر من كل واحد، لا يراه أحد إلا قتله، ولا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما في بطنها وهو الشيطان". (المخصص، ١٠٩/٨)، فعلى الرغم من أنه أصغر الحيات إلا أن كيده عظيم حتى شبه بالشيطان في أذاه وخبثه.

(٤) رواه البخاري ١٢٧/٤ (٣٢٩٧، ٣٢٩٨)، ومسلم ١٧٥٢/٤ (٢٢٣٣)، وأبو داود ٣٦٤/٤.

وفي رواية: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "مـــا سَـــالَمْنَاهُنَّ مُنْـــذُ حَارَبْنَاهُنَّ، (يعني الحيات)، ومن تَرَك شيئًا منهن خِيفة فَلَيْس مِنَّا"(١).

شرح الحديث:

قال القرطبي: "الأمرُ بقتل الحيات من باب الإرشاد إلى دَفْـــع المضـــرَّة المَخُوفَةِ من الحيَّات، فما كان منها متحقَّقُ الضَّرر وجبتِ المبادرةُ إلى قتلِـــهِ، لقوله: (اقتلوا الحيَّات، واقْتلوا ذا الطُّفْيَتَيْنَ والأبتَرَ، فإنَّهُما يخْطَفَـــان البصـــر، ويُسْقِطان الحَبَل). فخصَّهُما بالذِّكر مع أنهما دخلا في العموم، ونبَّه على ذلـــك بسبب عِظم ضررِهما، وما لم يتحقِّق ضررُهُ فما كان منها في غير البيوت قُتل أيضًا لظاهر الأمر العام؛ ولأن نوعَ الحيات غالبُهُ الضَّررُ فيستصْحبُ ذلك فيه؛ ولأنه كلَّهُ مُرَوعُ بصورته وبما في النفوس من النفْرةِ عنهُ"(٢).

التحليل السياقي:

لأهمية الأمر في الحديث النبوي الشريف لاسيما حين يتعلق باســـتنباط الأحكام الشرعية، وذلك لمعرفة الدلالات التي توخاها الرسول ﷺ خاصة وأنه يمثل شيوعًا كبيرًا في الخطاب النبوي بصفة عامة. وهذا يعنـــي أن الغـــرض الأصلي للأمر الحقيقي هو طلب القيام بالفعل على وجه اللزوم والاســـتعلاء، ومن الأسلوب المباشر لأسلوب الأمر كفعل كلامي تجسد فيه طلب الفعل مـــن جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى على جهة الحقيقة والإلزام بفعله (صيغة

---

(١) إسناده جيد، رواه ابن حبان في صحيحه ٤٦١/١٢، والنسائي ٥١/٦ (٣١٩٣) بلفـــظ (من خاف ثَأْرَهُن فليس منا)، والهيثمي، مجمع الزوائد ٤٥/٤ (٦١١٤)، عـــن ابـــن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "من قتل حية فله سبع حسناتٍ، ومن قتل وزعًا فَلَهُ حسنةٌ، ومن ترك حيةً مخافة عَاقِبتَهَا فليس منا".

(٢) تفسير القرطبي، ٣١٥/١.

افعل) بسبب ارتباط هذه الصيغة في الأصل للمخاطب الحاضر، إذ كان الغالب في حديثه ﷺ توجيهه المتلقين حاضرين أمامه، فينشأ ذلك التفاعل بين المنشئ (الرسول ﷺ)، والمستقبِل (الصحابة).

فصيغة الأمر الصريح (اقتلواْ) أمر إرشاد على صيغة (افعلواْ) تشكل فعلاً كلاميًا يقتضي دلاليًا وجوب الأمر بالقتل، لما يترتب على عدم القتل من المخاطر، وفي تعبيره ﷺ (اقتلواْ) أبلغ من (اتركواْ)؛ لما يفيده من البُعد عنها بكل الوسائل بُعدًا كبيرًا، والنُفرة والمبالغة في الحذر منها؛ لذا جاءت (ليس منا) في غاية التناسب مع مقام الحديث؛ لإفادة دلالة الإرشاد، هذا وقد اتكأ السياق في استحسانه هذا المعنى (الإرشاد) على عدة قرائن حالية:

الأولى: وظف الحديث النبوي قرينة (اسم الإشارة "ذات") للدلالة على القريب المحسوس، وأدت غرضًا بيانيًا مفاده "أن يقصد تمييزه أكمل تمييز، وذلك لإحضاره في ذهن السامع، فيكون أكثر تصورًا له، بحيث لا يغيب عنه شيء من أوصافه"(١)، بهدف تثبيته في النفوس.

الثانية: إحالة خارجية من اسم الإشارة (ذات) حيث أحال ﷺ إلى نوع آخر من الحيات، وهي إشارة أخرى موجودة خارج النص للتنبيه إلى خطورة هذه الحية، ونلاحظ هذا التلاحم والانسجام بين الإشارة اللفظية باسم الإشارة (ذات) والمشار إليه، والذي يصور المخاطب وكأنه يتحدث أمامنًا فنتفاعل مع خطابه إلى درجة التأثر والاقتناع وهو ما يثبت نجاح النص على المستوى اللساني، على أن هذا العمل "ليس من قبيل الأعمال الأساسية الأصلية التي تطفو على سطح الجملة كالإخبار والاستخبار والطلب وغيرها، إنما هو من قبيل الأعمال غير الأولية التي يبني عليها المتكلم كلامه كالتسمية والابتداء

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ــ، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط٤، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م، ٣١٥.

والتشبيه والنفي والإثبات"[١]، وبالتالي الإشارة.

ولابن القيم تحليل قيم جليل في مجئ حرف الذال للدلالة على الإشارة، حيث قال: "وخُصت الذال بهذا الاسم؛ لأنها من طرف اللسان والمبهم مشار إليه، فالمتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده، ويشير مع ذلك بلسانه، فإن الجوارح خدم القلب، فإذا ذهب القلب إلى شيء ذهابًا معقولاً، ذهبت الجوارح نحوه ذهابًا محسوسًا والعمدة في الإشارة في مواطن التخاطب على اللسان، ولا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عَذَبَة اللسان التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه ... لأن للإشارة قرائن حال يحتاج إلى أن ينظر إليها، فالمتكلم كأنه آمر له بالالتفات إلى المشار إليه أو منبه له، فلذلك اختص هذا الموطن بالتنبيه"[٢]، وهذا فهم دقيق لطبيعة هذه اللغة وطاقتها الهائلة.

الثالثة: النص يشير إلى فكرة تقرير هذا الأمر في نفس المتلقي، فقد كرر الرسول ﷺ لفظ (اقتلواْ) مرتين وعلى مدى متجاور مكاني متلازم، ثم اقترن فعل القتل بقوله: (يطمسان البصر ويسقطان الحبل)، حيث علله بتحقيق مصلحة دنيوية، متمثلة في التخلص مما قد يضر بالبدن والبهائم، فإذا ابتعد عنها ولم يقتلها، حيث لم يتحقق ضرره منها فلا إثم عليه، وفعله مباح، لكن صدور هذا الأمر من النبي ﷺ جعل قتلها داخلاً في العبادات والأحكام التكليفية، فيندب قتلها ويستحب، إذ قصد القاتل لها الامتثال لأمره ﷺ "إن دلالة الأوامر في حديث رسول الله ﷺ تردد بين الحال والاستقبال، ومنها لا يرتبط بزمن معين، وقد يكون بعضها للتجدد والتكرار"[٣].

---

(١) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، جامعة منوبة، ٢٠٠١م، ١٠٦٤/٢.

(٢) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ١٨١/١، ١٨٢.

(٣) بحوث في اللغة والأدب، (الكتاب التذكاري)، إعداد: د. سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ١٦٠.

الرابعة: جاءت الجمل السابقة في النص النبوي مُؤكَّدة (بـــأن)، فهـــي حرف توكيد نشر دلالته على المعاني التي دخلت عليه، ولعل وجه دلالة (أن) على التأكيد كان من جانبين:

الأول: من ناحية البناء الصوتي لهذا الحرف، حيـــث ينبعـــث الهـــواء المقذوف من الحلقُ إلى الخياشيم فيتردد ويجول فيها ويسمع لجولانه في الأنف صدى ناعمًا تتبعه غنة مدوية باحتكام الهواء بجدار الأنف، فيحدث في السمع إيقاعًا يتكرر مرة بالسكون ثم أخرى بالفتح، وبذلك يزداد السامع والسمع تشبعًا به فيستقر مفهومه في الذهن وغايته في الوجدان، وحينئذ يقع الكلام مؤكدًا.

الثاني: من جانب المعنى فكل جملة اقترنت بـــ(أن) تدل على معنى زائد يضاف إلى أصل المعنى المراد، فكأن الجملة التي اقترنت بـــ(أن) قد تكررت مرتين، فأفادت في المرة الأولى التأسيس، وأفـــادت عنـــد الإعـــادة التوكيـــد والتقرير(١)، والتأكيد لا يأتي دائمًا ردًا على حال المخاطب، بل يؤكد أيضًـــا: لأن موضوعه مهم، حيث ينظر إلى حال المتكلم نفسِه، ومدى انفعاله بالحقائق والمواقف وحرصه على إذاعتها وتقريرها في نفس المخاطب، كمـــا أحسَّـــها أكيدة مقررة في نفسه"(٢).

وفي ذلك مزيد من عمق التناسب بين توظيف هذه الأسماء والـــدلالات المنبثقة عنها التي تمنح صورة الحديث مزيدًا من الوضوح والقوة والتقريـــر، وهذه الصفات تبرز صفة الحية وأفعالها، فجاء تركيب (ليس منا) فـــي غايـــة التناسب مع مقام الحديث.

---

(١) أفدت هذه الدلالات مما ذكره الشيخ العلامة/ محمود محمد شاكر في بحث له بعنوان: "علـــم أصوات الحروف سر من أسرار العربية"، مجلة المقتضف، ٦٤ وما بعدها، يونيو ١٩٤٠م.

(٢) خصائص التراكيب، د. محمد أبو موسى، ط٢، ١٩٨٠م، ٥٧.

وبعد، فهذه القرائن جلية تقتضي بأن الدلالة اللغوية لقوله ﷺ (ليس منا) لا تتفق وبغية السياق، وإنما انصرفت إلى إرادة الإرشاد والاحتياط، حمله على هذا رحمتُه ﷺ وخوفه عن أمته، وهنا يمكن القول بأن المراد من (ليس منا) مجرد الإرشاد، لا الخروج عن الدين، ولا يعارض ما قلناه حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: **قال رسول الله ﷺ : "مَنْ تركَ الحيَّات مَخافةَ طَلَبِهِنَّ فليس مِنَّا ما سلمناهُنَّ مُنْذُ حاربَنَهُنَّ"**(١)؛ لأن قوله ﷺ "فليس منا" ليس لترك قتل الحيَّات، فيكون قتلها واجب، وإنما لاعتقاد ألا تضره إذا قتلها. قال ابن قتيبة: "لم يكن القصد لترك قتل الحيَّات، ولا أن ذلك يكون عظيمًا من الذنوب يخرج به الرجل إلى الكفر، وإنما العظيم أن يتركها خشية الثأر..." (٢).

هذا وقد أثمر هذا التوجيه السياقي ما تمخض عنه الأمر هاهنا وهو الإرشاد إلى "مصلحة دنيوية وليس للوجوب"(٣)، ورد عن ابن مسعود موقوفًا "مَنْ تَرَكَ حَيَّةً مَخَافَةَ عَاقِبَتِها فَلَيْسَ مِنَّا"(٤).

تعليق واستنتاج:

لقد أومأ النبي ﷺ إلى المعنى إيماءً، واستعمل اللفظ غامض الدلالة، واستعماله حين يخرج اللفظ عن أصل معناه في العرف اللغوي ليضفي عليه النبي ﷺ دلالة جديدة، ويبتكر له معنى لم يسبق إليه، ويندرج تحت ما يطلق عليه (الأصالة)، التي عرفها بعضهم فقال: "ويراد بالأصالة في الأسلوب بناؤه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٧٧/٣ (٢٠٣٧) بلفظه، وأبو داود، ٧٨٥/٢ (٥٢٥٠) بلفظه، قال شعيب الأرنؤوط في مسند أحمد: "إسناده صحيح".

(٢) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، المكتب الإسلامي، ١٤١٩هـ ــ١٩٩٩م، ٨١.

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ٢١٣/٣.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ٤٥/٤ (٦١١٤).

على ركنين أساسين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ... وملاك الأصالة أن لا تكتب كما يكتب الناس"[1]، فيذكره ﷺ دون تصريح بغيبية دلالة اللفظ (ليس منا)؛ ليلفت السامع إليه، ويثير شوقه إلى معرفة حقيقة مراده.

(١) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٤٥م، ٨٢.

الخاتمـــــــــة

الحمد لله حمدًا يبلغ رضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسوله ومجتباه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى من سار على سنته وهديه إلى يوم الدين.

وبعد ...

فقد عشت مع هذا الأدب العالي (أدب أحاديث رسـول الله ﷺ) قارئـة ومتدبرة ومحللة ــ على قدر طاقتي ــ، فوقع في قلبي وعقلي ما لا يقدر لفظ على وصفه جلالة، وروعة، وإبداعًا، وجمالاً، وقد كان للغة الحديث النبـوي الشريف أثر كبير بحكم اتساع ألفاظها وحركة دلالتها وشمول معانيهـا فـي التعبير عن مراد الشارع المقدس من الأحكام التشريعية تفصـيلاً وإجمـالاً، وتقييدًا وإطلاقًا، وتخصيصًا وتعميمًا، الأمر الذي جعل مـن دلالات ألفاظهـا المتنوعة أدوات فاعلة في مجال فهم النص الديني المـؤدي إلـى الاسـتنباط الواقعي للحكم الشرعي مهما تعددت وسائل هذا الاستنباط وطرقه لأساليبه.

وللتدليل على هذه الخاصية المهمة، تناول هذا البحث تركيب (ليس منا) التي وردت على ألسنة الأئمة الرواة ــ رضي الله عـنهم ــ فـي الأحاديـث النبوية الشريفة ضمن دلالات النفي لأفعال المكلفين.

هذا الجهد اليسير محاولة استقرائية عرضت من خلالها التعددية الدلالية للفظ الواحد في إطار السياقات التشريعية المستنبطة من نصـوص الأحاديـث النبوية الشريفة.

ومن خلال هذا التحليل الوافي لهذه النماذج من الأحاديث النبوية، أمكن استخلاص مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

١) تعددت الأنماط الدلالية التي انتهجها النبي ﷺ في تركيب (ليس منا) متوخيًا فيها الوصول إلى السامع، قلِبه، وعقلِه، ووجدانِه، فاختار من الأغراض والأنماط لتحقيق ما أراد من تبليغ، فتحقق بأسلوب النفي لتركيب (ليس منا) بلاغة في الكلام، وفوائد في البيان، وهذا ما لا يمكن تحقيقه بالتعبير المباشر؛ إذ التعبير غير المباشر يعطي المسألة عمقًا ويكسوها جمالاً، لتعطي مجالاً أوسع من الأفكار والمعاني.

٢) يكتنف تركيب (ليس منا) غموض يحتاج إلى جهد وإمعان نظر، وبإدراك أبعاده يصل السامع إلى حالة استشفاف وانفعال بمعرفة الحقيقة، وفي هذا تشويق وتعميق وجمال بين التلميح والتصريح؛ لأن (ليس منا) أداة مقصودة للتأثير الوجداني ولاسيما في إيصال المعنى الديني؛ لذا كان حسن الإيجاز سمة ميزت الخطاب النبوي عامة، وتجلّى في توضيح صُوَره الدلالية الذاتية لتركيب (ليس منا) متسقة مع الدلالة السياقية.

٣) لقد وُظِّفَ عناصر السياق بقسميه المشهورين في النظرية السياقية، وهما: السياق اللغوي، والسياق المقامي؛ لكشف المعنى وتقريب فهم الحديث؛ إذ تبين أثرهما الواضح في شرح الأحاديث، وكذا الترجيح بين الدلالات من خلالهما، ومراعاة مقصد المتكلم، وتوجيه الكلام من خلاله، وعلاقة المتكلم بالمخاطبين؛ مما جعل من هذه الأحاديث منظومة تواصلية بالغة التأثير في المتلقي.

٤) الحرص على الإفادة من سياق الروايات الأخرى في توجيه المشكل من خلالها، وإقرار ما يستقر عليه الرأي، فحكم على بعض الدلالات في الحديث الشريف، استنادًا إلى لفظة في رواية أخرى، بناء على قاعدة "أن الأحاديث يفسر بعضها بعضا"، ففي الحديث: **"من لم يتغن بالقرآن فليس مني"، وقيل: "يُجهر به".**

٥) تمتاز الأحاديث النبوية (أحاديث ليس منا) عن سواها بقدرتها وتمكنها من ضم ألفاظ المفردات بعضها إلى بعض بحسب ما يقتضيه المعنى المراد بأسلوب مؤثر قوي؛ لتصبح كل لفظة متصلة بالأخرى بنوع من الاتصال تكمن فيه المعاني والأفكار التي تحتويها النصوص النبوية؛ لذا أفاد التشريع الإسلامي كثيرًا من التنوع الدلالي للفظة العربية، الأمر الذي يدعو إلى وصف اللغة بالثراء والموسوعية؛ لأنها وفرت للمشرع الإسلامي حركية في الاستنباط في مجال تفسير النصوص، وفي إطار التعبير عن الواقع التشريعي والإفصاح عن الملابسات المتعددة، وعليه فإن الاهتمام بالترجيح السياقي يظهر في جانبين:

الأول: جانب المعنى وتوجيه الدلالة.

والثاني: الجانب الشرعي، والمعنى اللغوي في النهاية يخدم الأحكام الشرعية ويوجهها.

٦) جاءت عناصر سياق الحال كثيرة ومهمة في توجيه الدلالة، فظهر في التحليل السياقي للأحاديث المستوى الثقافي كالأعراف السائدة، وما يحيط بالكلمة عند توجيهها من عادات القوم وتقاليدهم، وهو عنصر مهم من عناصر سياق الحال، كما في قوله ﷺ : **"لَيْسَ مِنَّا مِنْ لَطَمَ الخُدُود ..."** الحديث، ومنه أيضًا أسباب الورود، كما في قوله ﷺ : **".... مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ..."** الحديث.

٧) تركيب (ليس منا) هو مثال إنموذج لهذه الإفادة السابقة والتي أوضح هذا البحث مجالات الاستفادة منها في التعبير في إطار السياقات المتعددة، فهي تفيد الاستحباب تارة، والكراهية تارة أخرى، والزجر ثالثة، والتهديد والوعيد أحيانًا، فجزئيات النص غير مرتبطة بالشخص بقدر ارتباطها بالحدث ذاته، فهي أحاديث قادرة على معالجة الأحداث في كل عصر.

ومن ثمَّ نصل إلى أن النبي ﷺ من خلال ما تقدم أنه كان ﷺ على وعي تام بمقتضيات المقام وباعتبارات المرسل إليه، وسياقات المرحلة المعيشية والتي سيعيشها الناس فيما بعد ــ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

توصيات البحـــــث:

أخيرًا، توصي الباحثة ببعض التوصيات، منها:

١) تشجيع البحث والتنقيب في متون السنة النبوية الشـــريفة، ومحاولـــة استخراج ما تضمنته أحاديثها من إيحاءات لغوية.

٢) ضرورة ربط التراث العلمي للأمة بواقعها، ومحاولة توثيـــق صـــلة المناهج الحديثة بالتراث للاستفادة منها في فهمه.

٣) ضرورة مراعاة المعاني من خلال سياقها، وتركيبها التي تحدد المعنى الحقيقي والمراد؛ إذ إن مراعاة المعنى الإفرادي معزولاً عن سياقه لا يخلق فهمًا صحيحًا ولا علمًا شاملاً.

هذا .. والله نسأل أن يُنعم علينا بالبصيرة في صـــحة الفهـــم، وحســـن القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك علـــى ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .. جل من أنزله

١) اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢) الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي (ت:٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبدالمالك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر، بيروت ــ لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت:٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت:٧٢٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٨م.

٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، (د.ط)، (د.ت).

٥) الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن الآمدي (ت:٧١٢هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة ــ بيروت.

٧) أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٨) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.
٩) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، دار صادر، ط٦، ١٤٠٤هـ.
١٠) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، تحقيق الشيخ: أحمد عزو عناية، دمشق، قدم له الشيخ: خليل الميس، د. ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م.
١١) أساليب العطف في القرآن الكريم، محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
١٢) استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٣) الاستنفار لغزو التشبه بالكفار، تحقيق: عبدالله التقليدي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٥م.
١٤) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.
١٥) الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣.
١٦) الأسلوب والأسلوبية، كراهم هاف، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، ط١، بغداد، ١٩٨٥م.
١٧) أصول البيان العربي ـ في ضوء القرآن الكريم ـ، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.

١٨) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، جامعة منوبة، ٢٠٠١م.
١٩) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ط٩، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.
٢٠) أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (ت:٤٩٠هـ)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، الهند، (د.ت).
٢١) أصول الفقه الإسلامي، وهبه الزحيلي، دار الفكر، سورياـ دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.
٢٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.
٢٣) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، د. تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢٤) الأم، الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس (ت:٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م.
٢٥) أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ ـ١٩٥٣م.
٢٦) الإيمان "ومعالمه وسننه واستكماله درجاته"، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت:٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م.
٢٧) البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م.

٢٨) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت:٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٩) بحوث في اللغة والأدب (الكتاب التذكاري بمناسبة مرور عشرين عامًا على تأسيس قسم اللغة العربية وآدابها)، إعداد: د. سهام الفريح، مجموعة باحثين، مكتبة المعلا، الكويت.
٣٠) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان.
٣١) البرهان في أصول الفقه، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين (ت:٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح ابن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.
٣٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ ــ١٩٥٧م.
٣٣) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، بغداد، ١٣٨٧هـ ــ١٩٦٧م.
٣٤) البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ــ، د. فضل حسن، دار الفرقان، الأردن، ط٤، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م.
٣٥) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخيار، أبو عبدالله عبدالرحيم بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت:١٢٧٦هـ)، تحقيق: عبدالكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م.
٣٦) البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء.

٣٧) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبدالرزاق، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق:مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٣٨) تأويل مختلف الحديث، عبدالله مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت:٠٠٠هـ)، المكتب الإسلام، ١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م.
٣٩) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م.
٤٠) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٤١) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد"، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
٤٢) تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير، سعيد يقطين، المركز الثقافي للكتاب العربي، ١٩٨٩م.
٤٣) التراكيب اللغوية في اللغة العربية: دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م.
٤٤) الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت:٥٣٥هـ)، تحقيق: أمين بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.
٤٥) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٤٦) التشبه المنهي في الفقه الإسلامي، الشيخ: جميل بن حبيب اللويحق، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م.
٤٧) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق وضبط الصحيح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.
٤٨) تعظيم قدر الصلاة، أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزي (ت:٢٩٤هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.
٤٩) التمهيد لما للموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
٥٠) التنكيل أو التقتيل لمن أباح التمثيل، أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت:١٣٨٠هـ)، تحقيق: أبو عبدالله محمد الأنجري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥١) التهذيب في فقه الإمام الشافعي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.
٥٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٣) التوشيح شرح الجامع الصحيح، عبدالرحمن السيوطي جلال الدين أبو الفضل (ت:٩١١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م.

٥٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، أبو عبدالرحمن عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (ت:١٤٢٣هـ)، تحقيق: محمد صبيحي بن حسن حلام، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٦م.

٥٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، القرطبي (ت:٦٧هـ)، تحقيق:أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٤م.

٥٦) الجني الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدرالدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي (ت:٧٤٩هـ)، تحقيق: فخرالدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م.

٥٧) جهود المالكية في تصنيف التصرفات النبوية، د. سعد الدين العثماني، دار الكلمة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ٢٠١٣م.

٥٨) حاشية الدسوقي على شرح التفتازاني، مصطفى محمد بن محمد بن عرفة الدسوقي (ت:١٢٣٠هـ)، مطبوع ضمن شروح التلخيص، القاهرة، ١٩٣٧م.

٥٩) حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبدالهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت:١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، ط٢.

٦٠) الحديث النبوي ــ مصطلحه ــ بلاغته، د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠١هـ ــ١٩٨١م.
٦١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين السيد، دار اقرأ، ط١، ١٤٠٤هـ ــ١٩٨٤م.
٦٢) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية)، محمد نظيف، مؤسسة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
٦٣) خصائص التراكيب، د. محمد أبو موسى، مكتبةوهبة، ط٤، ١٤١٦هـ ــ١٩٩٦م.
٦٤) الخواتيم السبع: دراسة تحليلية فنية، د. طالب عويد الشمري، سلسلة الإصدارات العلمية، بغداد، ط١، ١٤٢٩هـ ــ٢٠٠٩م.
٦٥) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٤٥م.
٦٦) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني (ت:٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٢هـ ــ١٩٩٢م.
٦٧) دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٣هـ.
٦٨) ديوان الأعشى الكبير، ميمون قيس، شرح وتعليق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٥٠م.
٦٩) الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية، عباس بن علي بن أبي عمر الصنعاني، تحقيق: عبدالمجيد الشرفي، ليبيا، تونس، ١٣٩٩هـ ــ١٩٧٦م.

٧٠) رصيد الخاطر، أبو الفرج الجوزي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م.

٧١) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٢م.

٧٢) الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، محمد الملاخ، ط١، ٢٠٠٩م.

٧٣) السنة ومسائل الإيمان، الخلال بن يزيد، تحقيق: عطية المزهراني، دار الراية، الرياض، ط ١٤١٠هـ ــ١٩٨٩م.

٧٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصطفى البابي الحلي، ط٢، ١٣٩٥هـ ــ١٩٧٥م.

٧٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيد ــ بيروت.

٧٦) السنن الكبرى، أبو عبدالرحمن بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ذ، ١٤٢١هـ ــ٢٠٠١م.

٧٧) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٧٨) شرح التسهيل، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي، تحقيق: عبدالرحمن السيد، دار هجر.

٧٩) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت:٨٥٥هـ)، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.

٨٠) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك (ت:٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٣م.

٨١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، الحسين بن عبدالله بن محمد بن محمد الطيبي شرف الدين، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م.

٨٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي (ت:٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ ـ١٩٨٠م.

٨٣) شرح الكافية الشافية، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، جمال الدين (ت:٦٧٢هـ)، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى.

٨٤) شرح مسند أبي حنيفة، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملأ الهروي القارئ (ت:١٠١٤هـ)، تحقيق الشيخ: خليل محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.

٨٥) شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت:٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة السالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ١٩٩٤م.

٨٦) شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين، الطباعة المنيرية.

٨٧) صحيح البخاري ــ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجحفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٨) صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبدالرحمن ناصر الدين، بن الحاج بن نجاتي بن آدم الأشفوري الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٨٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبدن، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت:٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ــ١٩٩٣م.

٩٠) صحيح مسلم ــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل من العدل إلى رسول الله ﷺ ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩١) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٩٢) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، عثمان بن عبدالرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح

(ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٩٣) طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، أبو الفضل بن زين الدين عبدالرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (ت:٨٢٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة، منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودور الفكر العربي.

٩٤) طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جغيم، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ ـ٢٠١٤م.

٩٥) عبقرية محمد ﷺ ، محمود عباس العقاد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩١هـ ـ١٩٧١م.

٩٦) علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، محمد محمد يونس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

٩٧) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ٢٠٠٩م.

٩٨) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت:٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٩) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو عبدالرحمن، شرف الحق الصديقي، العظيم آبادي (ت١٢٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٠٠) غريب الحديث، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب المعرف بالخطابي (ت:٣٨٨هـ)، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.

١٠١) غريب الحديث، الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت:٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٤م.

١٠٢) الغريب المصنف، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٠٣) الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الحنفي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٧م.

١٠٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه: محمد فؤاد عبدالباقي، أخرجه وصححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١٠٥) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.

١٠٦) الفروع الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت:٣٢٩هـ)، صححه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية.

١٠٧) فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، محمد بن أحمد جهلان، تقديم: محمد بن موسى، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٨) فقه بيان النبوة ـ منهجًا وحركة، د. محمود توفيق محمد سعد، مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٠٥م.

١٠٩) فلسفة الجمال والفن عند هيجل، د. عبدالرحمن بدوي، دار الشروق، ط١، ١٩٩٦م.
١١٠) في الأدب والنقد، محمد مندور، ٢٠٠٨م.
١١١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م.
١١٢) في التحليل اللغوي آ منهج وصفي تحليل وتطبيق على التوكيد اللغوي والنفي وأسلوب الاستفهام، خليل عمايرة، سليمان العاني، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥م.
١١٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زيد العابدين المناوي (ت:١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
١١٤) في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزوني، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.
١١٥) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان.
١١٦) قبسات من الرسول، محمد قطب، دار الشروق، ط١٥.
١١٧) قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٦٧هـ ــ١٩٤٨م.
١١٨) الكبائر، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت.
١١٩) كتاب العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.

١٢٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٢١) كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.

١٢٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

١٢٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي الشهير بالمتقي الهندي (ت:٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م.

١٢٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، القسطلاني، دار صادر سعيد، ط٦، ١٤٠٤هـ.

١٢٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢٦) لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ـ الرياض، ١٩٩١م.

١٢٧) اللغة العربية ـ معناها ومبناها ـ، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.

١٢٨) اللغة في الدرس البلاغي، عدنان عبدالكريم جمعة، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٨م.

١٢٩) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، ط١، ١٩٨٧م.

١٣٠) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، الحنبلي (ت:١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.

١٣١) المتربع البديع في تجنيس البديع، السجلماني (ت:٧٠٤هـ)، ترجمة: علال الغزي، مكتبة المعارف، الرباط ـ المغرب، ١٩٨٠م.

١٣٢) المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

١٣٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسين نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م.

١٣٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ١٩٩٥م.

١٣٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط الأخيرة، ١٤١٣هـ.

١٣٦) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م.

١٣٧) مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية، د. جان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٣٨) مسائل الإيمان، القاضي أبو يعلي، تحقيق: د. سعود الخلف، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
١٣٩) المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم محمدبن عبدالله بن محمد ابن حمدوية بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ١٩٩٠م.
١٤٠) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م.
١٤١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م.
١٤٢) مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدارني، دار المغني، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ـ٢٠٠٠م.
١٤٣) مسند ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٤٤) مسند أبي يعلي ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت:٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م.

١٤٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٤٦) مشكلات الإنسان في التحليل النفسي، سمير عبده، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.

١٤٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت:٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت.

١٤٨) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت:٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، صلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ١٩٣٢م.

١٤٩) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٧م.

١٥٠) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة.

١٥١) المعجم الصغير (الروض الداني)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.

١٥٢) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
١٥٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
١٥٤) المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، ط١، ١٩٨٧م.
١٥٥) المغني، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة (ت:٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ١٩٦٨م.
١٥٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.
١٥٧) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٥٨) مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م.
١٥٩) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.
١٦٠) المقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت:٥٢٠هـ)، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م.
١٦١) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء)، (ثم)، د. محمد الأمين الخضري، ط١، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.

١٦٢) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، (د.ت).
١٦٣) من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، نعم هاشم الجماسي، المدينة ــ بغدادن، ط٣، ١٤٣١هـ ــ٢٠١٠م.
١٦٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
١٦٥) منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية الوضعية، مولود السريري، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ١٤١٨هـ.
١٦٦) المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت:٤٧٦هـ)، دار الكتب العلمية.
١٦٧) نسيج النص ــ بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا ــ، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٦٨) نشر البنود على مراقي السعود، عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، التراث الإسلامي، الإمارات.
١٦٩) النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، محمد عبدالباسط عيد، تقديم: صلاح رزق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ ــ٢٠٠٩م.
١٧٠) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٧١) نظرية السياق: دراسة أصولية، نجم الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.
١٧٢) نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٧٣) النقد والإعجاز، محمد تحريش، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٧٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت:٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ــ١٩٧٩م.
١٧٥) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ــ١٩٩٣م.
١٧٦) الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (ت:٥٩٣هـ)، تحقيق: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان.

الرسائل الجامعية:

١) تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع، هشام فروم، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.
٢) التدابير الواقية من التشبه بالكفار، عثمان أحمد بوكي، رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، جامعة بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلان، ١٤١٧هـ ــ١٤١٨هـ.
٣) الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش مصطفى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م.

الدوريـــــات:

٤) أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبـــدالرحمن بـــودرع، مجلـــة الإحياء، المغرب، عدد ٢٥، ١٤٢٨هـ.

٥) التوازي وأثره في الإيقاع والدلالة، سامح الرواشدة، مجلـــة أبحـــاث اليرموك، مجلد ٢٤١٦، ١٩٩٨م.

٦) علم أصوات الحروف سر من أسرار العربية، للشيخ: محمود محمـــد شاكر، مجلة المقتضف، ١٩٤٠م.

٧) قرينة السياق، د. تمام حسان، بحث قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي، دار العلوم، القاهرة، ١٤١٣هـ ــ١٩٩٣م.

٨) القسم في الحديث النبوي الشريف، د. أميمة بدر الدين، مجلة جامعـــة دمشق، مجلد ٢٦، عدد ٣، ٤، ٢٠١٠م.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٣٤٧
التمهيد: ليس منا بين الدلالة والسياق.	١٣٥٤
المبحث الأول: أثر السياق في دلالة الترغيب والتشويق.	١٣٥٢
المبحث الثاني: أثر السياق في دلالة الترهيب والتحذير.	١٣٩٤
المبحث الثالث: أثر السياق في دلالة التهديد والوعيد.	١٤٠٨
المبحث الرابع: أثر السياق في دلالة النهي.	١٤٢٧
المبحث الخامس: أثر السياق في دلالة الإنكار التوبيخي.	١٤٤٤
المبحث السادس: أثر السياق في دلالة الإرشاد والاحتياط.	١٤٥٥
الخاتمة.	١٤٦٦
فهرس المصادر والمراجع	١٤٧٠
فهرس الموضوعات	١٤٩٢